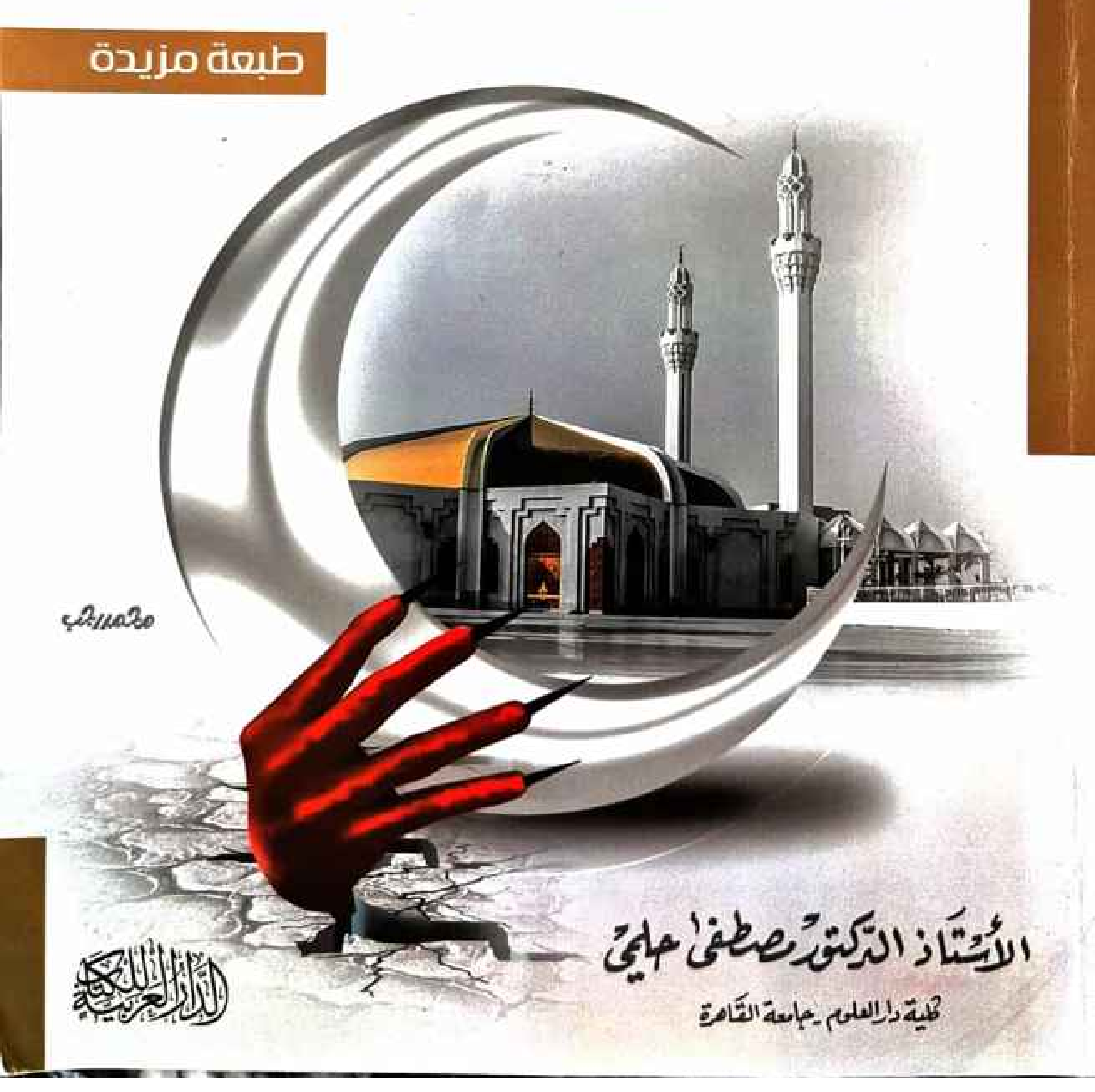
الإسلاموفوبيا

أم إرهاب الغرب

و العنصرية الفرنسية ؟!

طبعة مزيدة



الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الدار العربية للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

الإسلاموفوبيا- أم إرهاب الغرب والعنصرية الفرنسية؟!

الجزء الثاني

د. مصطفى حلمي

الطبعة الأولى
٢٠٢١م

رقم الإيداع القانوني
٢٠٢٠/١٨٥٣٣





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فإن هذا الكتاب هو الجزء الثاني لكتابنا بعنوان (الإسلاموفوبيا، أم إرهاب الغرب والعنصرية الفرنسية؟)[1].

وقد أضفنا إليه بحوثًا: منها (إخفاق النموذج المزدوج لحضارة الغرب)؛ لأن الحضارة الغربية هي التي تعاني من أزمة وليس (الإسلام)، ويكفينا- في هذه المقدمة- الإشارة فقط إلى كتاب بعنوان (نحن وعصرنا: **الاضمحلال واللامنطقية**[2])، فإن دلالته واضحة، كما لخصها الصحفي السويسري دوباسكويه، فوصف حضارة العصر، بأنها جلبت المهانة للعالم في رغبتها إحاطة كل شيء بالغموض، وتجاهلها للبعد العلوي وتطلّع الإنسان للسموّ والكمال[3].

كذلك عرضنا لثلاثة بحوث تتصل (بالإسلاموفوبيا).

الأول: للعالمة الألمانية هونكه، التي عللّت تلك الأيدولوجية الخرقاء بالعقدة النفسية

---

(١) ط دار الأمل بالإسكندرية: ٢٠٢٠م.

(٢) قسطنطينوس بلاخورس (نحن وعصرنا- الاضمحلال واللامنطقية) ترجمة: ياسر شداد، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية.

(٣) روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام)، ص ٦ مطابع الشروق، ١٩٩٤ ويقول أيضًا: «يبدو أنه لا شيء على الأرض يمكنه الهروب من الأزمات التي تزلزل العالم الحديث. لا يكفي الحديث عن أزمة حضارة بعد أن اكتسبت الظاهرة أبعاداً عالمية. يبعث الظلام الوشيك شعوراً متزايداً بعدم الاطمئنان»، ص ٩.

ويذكر أن بعض المستشرقين عملوا بنيّة واضحة للتحقير من شأن الإسلام وما يتعلق به -والأسباب واضحة- في عنفوان الإمبراطوريات الاستعمارية، أي لتبرير الاستعمار! ص ١٧.

ويعلل الفقر والبؤس الفظيع التي عانت منه بعض بلاد آسيا الإسلامية بالقوى الاستعمارية، ص ٢٦، ٢٧.

التي تسد الطريق أمام كل معرفة موضوعية، وهي بسبب التشويه والمغالطات وإلصاق التهم وإصدار الأحكام الظالمة للإسلام والمسلمين بغير دليل.

والثاني: لعالم السياسة البريطاني هاليداي، الذي انتهى من دراسته إلى أن مفهوم الخطر الإسلامي هو ذاته خرافة، بل إنه كان يصرّح بأن الخطورة تقع على العالم الإسلامي لا على الغرب؛ لذلك اختار عنوان الفصل الرابع لكتابه (خطر الإسلام أم خطر على الإسلام)؟!

والثالث: للعالم الأمريكي د. وارد تشرشل.

وهؤلاء العلماء من عقلاء القوم الذين أفتلوا من عمليات غسيل المخ والتلاعب بالعقول، وهي الشغل الشاغل لأجهزة الإعلام الكذوب بضجيجها وصخبها حتى خدعت الأغلبية، ويقف وراء تلك الأجهزة مكتب المخابرات التي يوجهها المستشرقون وأشهرهم برنارد لويس[1] بأساليبها الماكرة وكثرة إلحاحها؛ إذ لم ينج من خداعها صاحب العقل الكبير العالم أينشتاين الألماني الأصل الأمريكي الجنسية، فقال عندما اكتشف حقيقة الأمر: «لقد هاجرت إلى أمريكا بسبب الحرية التي تدعي الولايات المتحدة وجودها، الحركة الكبيرة جداً التي سمعت بأنها موجودة في هذه البلاد.. لقد أخطأت باختياري أمريكا على أنها بلاد ترفرف فيها رايات الحرية، وعمري كله لن يجدي في إصلاح هذا الخطأ!»[2].

---

(١) وبرنارد لويس هذا مؤرخ كبير، من مؤلفاته كتاب (أزمة الإسلام) يحض فيه على الكراهية ومهاجمة المسلمين، ويرى أن المستقبل مظلم (إذا تُرك المسلمون بصفة عامة دون تأديب).. مع إشارات متعددة في الكتاب تمتدح إسرائيل وتثني عليها وتدافع عنها وتوصي بدعمها... هذا، وقد علق الدكتور جلال أمين ساخراً بقوله: «ذلك أن أزمة الإسلام الحقيقية لا علاقة لها بأي شيء جاء ذكره في هذا الكتاب، وإن كان لها علاقة قوية بوجود مؤرخين وكتاب وصحفيين من نوع برنارد لويس!» ص ٨٧ (عصر التشهير بالعرب والمسلمين) للدكتور جلال أمين.

(٢) نزار بشير (حضارة الدم وحصادها -فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي)، ص ٣٤ ط الزهراء للإعلام العربي، ط ٢٠٠٣م.

وخطّطت منهجي في الدراسة طبقًا للمبدأ القائل بأن أفضل طريقة للدفاع هو الهجوم، واخترت عنوان الكتاب عامداً بصيغة السؤال الاستنكاري بعد أن فاض بنا الكيل في عصر انقلبت فيه المعايير رأسًا على عقب، فأصبح الضحايا هم الإرهابيون - والجناة يمثلون دور الحمل الوديع! وهو أيضًا عصر التشهير بالعرب والمسلمين(*).

وما أصدق قول الكاتب الأمريكي الساخر (مارك توين) الذي كان من أكثر من انتقد إرهاب دولته تجاه سكان الفلبين، حتى أنه اقترح مرة إبدال النجوم في العلم الأمريكي بجمجمة وعظمتين متقاطعتين (رمز القرصنة)[1]!!

هذا، ومع التصورات القاتمة الباعثة على الاكتئاب وآثارها المثبّطة للهمم التي يثيرها الحديث عن ظاهرة (الإسلاموفوبيا) لكل ما يتعلّق بها، فإننا بالرغم من ذلك نغلّب التفاؤل على الإحباط، ونتطلع إلى مستقبل مشرق بمشيئة الله تعالى.

يقول الدكتور عبد العزيز كامل: «لم تزل أمته ﷺ تنازل أصحاب الأديان الباطلة فوق كل أرض وتحت كل سماء، إلى أن جاء عهد الاستضعاف العام بتفريط من عامة الأمة، لكن مع ذلك ظلت في الأمة بقية تنازل الكافرين والمعتدين، وتسجل انتصارات تاريخية كان من بعض نتائجها المعاصرة إلجاء قوى الطغيان الأوربي إلى الجلاء عن كثير من بلاد المسلمين ثم إسقاط الطاغوت العسكري الأضخم في العالم، وهو الاتحاد السوفيتي السابق، وها هي القوة العظمى الكبرى -أمريكا- يتوقع لها سقوط أعظم بعد أن تورطت باحتلال بعض بلاد المسلمين، فدخلت في حرب مفتوحة بمعاداتها أولياء الله الذين آذن الله من يعاديهم بالحرب»[2].

(*) للدكتور جلال أمين كتاب بهذا العنوان وذكر في مقدمته أنه عبارة عن «مساهمة متواضعة للغاية في وقف ما أصاب العرب والمسلمين بسبب هذا التشهير من تدهور في ثقتهم في أنفسهم، وفي عدالة قضيتهم، دار الشروق ٢٠٠٤م، ص٦.

(١) نفسه ص ٦٦.

(٢) د. عبد العزيز كامل (مستقبل الإسلام.. بين نور دائم ووعد قائم)، ص٣٣، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾، مجلة (البيان) ذو الحجة ١٤٣٣هـ، نوفمبر ٢٠١٢م. هذا، وقد رصدت جريدة (الغارديان البريطانية) ظاهرة تغلب التيار اليميني الغربي المتطرف في أمريكا وأوروبا، ثم جاء اقتحام الكونجرس في ٦ يناير ٢٠٢١م ليؤكدها؛ (يُنظر ملحق رقم (٥) للكتاب).

ويحتوي الكتاب -بعد التمهيد- على اثني عشر فصلاً، وهي كالتالي:

- الأول: الإسلاموفوبيا (أصولها وأهدافها).
- الثاني: جماعات الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية.
- الثالث: ما مدى صحة الرواية الرسمية؟ وما الهدف من غزو أفغانستان؟
- الرابع: نشأة الإرهاب.
- الخامس: الحملات المنهجة ضد الإسلام.
- السادس: انتكاسات حضارة الغرب واضمحلالها.
- السابع: إخفاق النموذج المزدوج للحضارة الغربية.
- الثامن: تهافت وهم معاناة الإسلام للأزمة.
- التاسع: نقد (الإسلاموفوبيا) وفق المنهج العلمي.
- العاشر: الصلة العضوية بين الاستعمار الغربي والدولة الصهيونية.
- الحادي عشر: الاستعمار -أصل الإرهاب- صناعة أوربية.
- الثاني عشر: استمرار الحروب الصليبية ومعها الإرهاب.

والله تعالى المسئول أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مصطفى بن محمد حلمي

٢ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
١٥ يناير ٢٠٢١م

●●●

تمهيد

تمهيد:

لم يكن تصريح رئيس فرنسا مفاجئًا؛ لأنه ليس وحيدًا في تصريحاته الحاقدة الطائشة، فقد سبقه رؤساء آخرون، ولكن الذي يستوقفنا هو استخدامه لطريقة (الإسقاط النفسي)[1]؛ حيث وصف الإسلام بأنه يعاني أزمة، بينما يتضح لأقرانه الأوربيين والأمريكيين من علماء وفلاسفة ومؤرخين وأدباء أن حضارته هي التي تعاني من أزمات!

وهو أيضًا لا يفصح عن نفسه فحسب، بل يعبر عمّا تكنه دول أوربا من أحقاد نحو الإسلام.

وكان الدكتور عبد الرحمن بدوي قد عاش في فرنسا والبلاد الغربية سنوات طويلة، وراقب معالم الحرب على الإسلام؛ ممّا جعله ينتفض لمواجهة هذه التحديات.. ومما قاله في وصف تلك الحرب: «إن عنصرية الغربيين ضد الإسلام واضحة[2].. فالغرب، فيما يتعلق بالإسلام، يكيل ليس بمكيالين فقط، بل بعشرة أو ربما بمائة مكيال.. فهو أكثر عنصرية ووحشية مع الإسلام مما يمكن أن نتصور.. وفي مكتبات باريس عشرات الكتب التي تقطر سمًّا على الإسلام.. بل إن الكتابة في الإسلام قد أصبحت حكرًا على ذوي الخط الأعوج!.. إن كل من هب ودب من الغربيين بات يعطي نفسه الحق في الحديث عن الإسلام، وترجمة قرآنه المجيد.. ولقد تألمت كثيرًا لأن باحثًا يهوديًّا قام بوضع ترجمة للقرآن الكريم هي عار على الترجمة والمترجمين في كل زمان؛ لأنها مليئة بالاعتداءات الصارخة على قداسة النص القرآني! إن الغرب لا

---

(١) قال الأستاذ عبد المجيد الشوادفي: «واقع الوجود الإسلامي وتنامي أعداد المعتنقين له بالدول الأوربية أحدث سعارًا هجوميًا عليه نتيجة تخوف الغرب في ظل المكونات الثقافية العلمانية».
مقال بعنوان (تداعيات الإساءة للإسلام)، جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٠م، مع العلم بأن صحيفة (تشارلي إيبدو) الفرنسية لم تكن وحيدة في وقاحتها، وسفالتها، بل سبقتها صحيفة دانماركية في سبتمبر ٢٠٠٥م، فإن (بعضهم أولياء بعض).

(٢) إن كلمة العنصرية تعيد إلى أذهان الفرنسيين المأساة المروعة التي عاشوها أو عاشها آباؤهم في ظل النازية، ولهذا تعد آفة ينفر منها غالبية أهل فرنسا.. ولكن ما زالت عنصرية البعض مستمرة، وتفاقمت الأزمة بظهور حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف. ص١٦، ١٧ من كتاب شريف الشوباشي: (هل فرنسا عنصرية)؟ مطابع الأهرام ١٩٩٢م.

يريد أن يفهم من الإسلام إلا ما يريد هو أن يفهمه؛ ولذلك يرحب ويفسح المجال أمام ترجمة مؤلفات الكتاب العلمانيين دون غيرها . . »[1].

هذا، وقد أعلن الدكتور بدوي سبب كتابته لمجموعة كتب إسلامية، أعلن أنه كتبها ليدافع بها عن الإسلام المستهدف هذه الأيام من قبل كتاب الغرب، وبسبب الحملة المسعورة التي تشن الآن في أوربا وفي أنحاء كثيرة من العالم ضد الإسلام والمسلمين، لا لذنب اقترفوه ولكن بسبب عداء قديم للإسلام أشعل ناره سوء فهم كتاب الغرب لطبيعة هذا الدين خلال العصور الوسطى وخلال العصر الحديث[2].

وعلى أية حال لا يُتوقع من فرنسا ورؤسائها إلا ما هو منكر وعدائي، فإن تاريخ استعمارها للشعوب مليء بكل ما هو مشين ومناف للإنسانية، فقد سبق أن امتدت مساحة مستعمراتها إلى اثني عشر مليونًا من الكيلو مترات، وضمت ثمانية وستين مليونًا من البشر . . وكانت المستعمرات تمثل أحد الشروط الأساسية للازدهار الاقتصادي الفرنسي، وذلك على حساب تخريب اقتصاد الشعوب ونهبها، فضلاً عن التبشير الذي بلغ من القوة، حتى بدأ الصراع الديني مع إسبانيا حتى لا تترك لها السيادة الكاثوليكية. تقول د. زينب عبد العزيز: «فقد قامت البعثات التبشيرية بالاستعمار لحسابها الشخصي، بل قامت بما هو أسوأ؛ إذ غزت وأبادت، وصادرت واستولت، وأفسدت واحتلت، وساهمت في اقتلاع هوية العديد من الجماعات الإنسانية، كما استغلت نظام العبودية وسلطة النفوذ الكنسي لغرض التنصير الإجباري»[3].

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)، ج ١، ص ١١، ١٢ ترجمة: كمال جاد الله -دراسة وتقديم: د. محمد عمارة. هدية مجلة (الأزهر) ربيع الآخر، ١٤٣٨هـ.

(٢) د. عطية القوصي دراسة بعنوان (بدوي والتوجه الإسلامي المعاصر)، ص ٢٣٨ بكتاب (عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة مجموعة دراسات) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢ م.

وبالإضافة إلى كتابيه: (دفاعًا عن القرآن ضد منتقديه) و (دفاع عن حياة محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره) له كتاب ثالث بعنوان (الإسلام كما ارتآه فولتير وهيردو، وجيبون وهيجل) تحت الطبع.

(٣) د. زينب عبد العزيز (الفرنسكو فونية والمسألة الحضارية)، ص ٥٠، ٥١، مجلة (البيان) العدد ١٧٨ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، أغسطس ٢٠٠٢م.

إن المسألة إذن ليست مسألة حرية تعبير كما صرّح رئيسها، بل هي الحرب والكيد للإسلام ولرسوله العظيم ﷺ. . إن الحرية التي يزعمها لم تمنعه من منع ارتداء المسلمات لحجابهن الشرعي في فرنسا، وسنّوا قانونًا لمعاقبة كل من يخالف ذلك من النسوة المسلمات، ولم ينظروا لمسألة الحرية التي بها يتشدقون، وكذلك منعت هولندا بناء المآذن ولم تنظر لمسألة الحرية.

وتتضح ازدواجيّة المعايير والكيل بميزانين عندما سُنّت القوانين لتجريم من يخالف الرواية المعتمدة من السلطات ولم ينظروا لمسألة الحرية: فحرق اليهود في أفران الغاز من قبل النازيين مسألة تاريخية تثبت أو تنفى بالدلائل، ومع ذلك اعتمدت سلطات كثير من البلدان الأوربية الرواية اليهودية في حرقهم في أفران الغاز، بحيث يجرّم من خالفها ويعاقب على ذلك بالسجن، وقد حوكم الفيلسوف رجاء جارودي لأنه خالف الرواية اليهودية بناءً على أدلة استند إليها، وكشف أساطير إسرائيل السياسية وأثار الشكوك، وأوجب إعادة البحث فيما يقال عن المذابح وعمليات القتل الجماعي الواسعة التي تعرض اليهود لها خلال الثلاثينيات في ألمانيا النازية[1]. ولم ينظروا لحرية الرأي، ولا للأدلة التي يقدمها من ينفي هذه الواقعة أو من يبين المبالغة المعتمدة فيها. فحرية الفكر المدَّعاة أكذوبة من أكذوباتهم التي لا تُفنَّد[2].

وكان تصريح الرئيس الفرنسي أيضًا مثيرًا للأشجان بعد أن ركبه العناد في تكرار نشر الصور المسيئة للرسول ﷺ بزعم (حرية التعبير)، بينما نحن نفسره بالأحقاد والضغائن التي تملأ قلوبهم جميعًا، قال تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠] يقول العلامة السعدي: «يخبر تعالى رسوله أنه لا يرضى عنه اليهود ولا النصارى إلا باتباع دينهم؛ لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: إن هدى الله هو الهدى الذي أرسلت به (فهو الهدى) أما ما أنتم عليه فهو الهوى. . فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن

(١) طارق البشري (رجاء جارودي. .) الهلال، مارس ١٩٩٨، ص ٨.

(٢) مجلة (البيان) العدد ٣٠٤، ذو الحجة ١٤٣٣هـ، نوفمبر ٢٠١٢م، ص ٥.

(الافتتاحية) الانتصار لرسول الله ﷺ وتوقيره.

أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، ، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب»[(١)].

وأصبح علينا مناقشة القضية من جذورها -تحليلاً ونقدًا، أي بدءاً بأحداث سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من غزو أفغانستان والعراق، وما صحبه من اتهام المسلمين بالإرهاب وإشاعة الذعر بأيدولوجية (الإسلاموفوبيا) وفْق رواية حكومية حبكتها المخابرات الأمريكية لإخفاء المسئولين عنها، ثم اتضح من التحقيقات والبحوث بواسطة العلماء أنها رواية كاذبة ولا تكاد تُصَدّق بسبب الثغرات الكثيرة التي تهدمها من جوهرها وبإثبات كذب الرواية الرسمية، تنهار الأسس التي بنوا عليها (الإسلاموفوبيا)!

الإسلاموفوبيا هو إسقاط نفسي لسلوكيات حضارة الغرب وطبيعته[(٢)]:

فإن طبيعته هو التمييز العنصري والاستعلاء على باقي الشعوب الملونة، وهو داء متوارث من حضارة الرومان واليونان (الأثيني وغير الأثيني)، واستفحل كثيراً بما غذّته به مصادر اليهود الدينية كالتوراة والتلمود بادّعائهم (شعب الله المختار)!

وخطف أو اصطياد بعض سكان إفريقيا من الشباب والرجال وشحنهم إلى أمريكا كعمال سخرة لزراعة الأراضي مع استعبادهم واعتبارهم رقيقًا!

أما إبادة شعب أمريكا الأصلي من الهنود الحمر فهي تمثل ذروة الإرهاب.

أما تطبيقه في العصر الحديث فيتمثل في إلقاء القنابل النوويّة على هيروشيما وناجازاكي، والغزو الاستعماري الأمريكي لأفغانستان والعراق، وإبادة شعب البوسنة والهرسك.. بل إن الأمة برمتها تُذبح. كذلك غرسوا إسرائيل في قلب العالم العربي

---

(١) عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ص٥٨، ط مكتبة الصفا بالأزهر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(٢) تعريف (الإسلاموفوبيا): هي أحدث المفاهيم السياسية الاجتماعية الأمريكية التي طورها الغرب من أجل تعزيز هيمنته على المناطق الإسلامية.. ويقول مؤلف كتاب (الإسلاموفوبيا- الحملة الأيدولوجية ضد المسلمين: «إن هذا الكتاب يجزم بأنها سبقت ١١/ ٩ وأيضًا استمرت بعد إدارة بوش.. واستمر ظهور المسئولين ممن خططوا لها وعملوا على أن تصبح تيارًا سائدًا» ص ٤٥ المؤلف ستيفن شيهي- ترجمة د. فاطمة نصر- سطور الجديدة ٢٠١٢م.

والإسلامي لتؤدي دور الإجهاض والتخريب لأية حركة نهضة، وتمثل الذراع الطويلة للإرهاب بتدمير قرى فلسطين وقتل شعبها رجالاً ونساءً وأطفالاً بلغ ذروة الوحشية. بتدمير قرى دير ياسين وصابرا وشاتيلا في لبنان ومدرسة بحر البقر في مصر، ودفن أسرى حرب ٦٧ أحياءً في أرض سيناء.

وهكذا لا زالت الحروب الصليبية الحاقدة مستمرة، تسربلت بأردية الاستعمار تارة، وبالتدخل (لاستقرار الأمن) تارة أخرى، ثم (لإقرار بالشرعية الدولية والنظام العالمي الجديد) مرة ثالثة.. وبالرغم من هذا السجل الحافل بالإرهاب يصوّر الغرب بواسطة الهطل الإعلامي، يصوّر نفسه بالحمل الوديع، ويشكو مرّ الشكوى ليل نهار من (إرهاب المسلمين)!

هذه التمثيلية المفضوحة هي صناعة إعلامية في غاية الخبث والدهاء.

وقد برعوا في التضليل الإعلامي وتغييب الوعي.. يقول رئيس أمريكا الأسبق ريتشارد نيكسون: «من السمات الأساسية لأسلوبنا في الحياة بأنه عندما يعمد الحكام إلى الاستئثار المنظم بالمعلومات، التي هي حق خالص لجمهور الشعب، فإن أفراد الشعب سرعان ما يصبحون في وضع يجهلون معه كل ما يتعلق بشئونهم الخاصة، كما سيفقدون الثقة في هؤلاء الذين يسيّرون أمورهم، وسيفتقرون في نهاية الأمر إلى القدرة على تحديد مصائرهم الخاصة»[1].. ويقول نائبه «أجينو»: «فالأنباء التي يتلقاها ٤٠ مليون أمريكي كل ليلة تتحكم فيها حفنة من الأشخاص المسؤولين فقط أمام مستخدميهم في الشركة المالكة، ويتم تصنيفها على يد حفنة من المعلقين لا يأخذون إلا بما يتفق مع تحيزاتهم.. إن هناك احتكاراً فعلياً للجهاز الإعلامي في مجمله.. وهناك أيضًا اتجاه إلى احتكار أدوات الإعلام الكبرى (الصحف)، وتركيز السلطة أكثر فأكثر في أيد أقل فأقل.. (ونتيجة لذلك) لم يعد هناك مجال لذلك الإيمان الساذج بحياد صحفهم ومحطاتهم»[2].

●●●

(١) هربرت أ. شيللر (المتلاعبون بالعقول) ترجمة: عبد السلام رضوان، ص ٢٧، ط ٢ عالم المعرفة بالكويت، عدد رقم ٢٤٣ ذو القعدة ١٤١٩هـ مارس ١٩٩٩م.

(٢) نفسه ٢١٨.

الفصل الأول

الإسلاموفوبيا «أصولها وأهدافها»

الإسلاموفوبيا: «أصولها وأهدافها»:

إن (الإسلاموفوبيا) عند الدكتور عبد الرحمن بدوي ليست ظاهرة إعلامية طارئة، كما يراها البعض بنظرة سطحيّة، وإنما رآها امتداداً متطوراً وحديثًا لافتراءات قديمة لكثير من المستشرقين والمنصّرين -وخاصة اليهود منهم- على الإسلام ومقدّساته ورموزه[1].

وقد تبارى المفكرون الإستراتيجيون الغربيون في التحذير من الإسلام، وفي تأجيج نيران العداء له، وإعلان الحرب عليه.. فكتب «فوكرياما» يقول: «إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة في العالم التي ترفض الحداثة الغربية ومبدأها الأكثر أساسية وهو العلمانية.. وإن الصراع الحالي ليس ضد الإرهاب ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي ترفض الحداثة والدولة العلمانية، وانضم إليه هنتجتون وأعلنا معًا ضرورة قيام حرب داخل الإسلام حتى يقبل الحداثة الغربية والعلمانية الغربية»[2].

وتنصح مراكز الدراسات الغربية- وفي المقدّمة منها «مؤسسة راند الأمريكية»- صانع القرار الغربي بالاعتماد على الحداثيين والعلمانيين في العالم العربي والإسلامي، لاستخدامهم في الصراع ضد الإسلاميين الأصوليين[3].

وقد حيكت خيوط التنفيذ بواسطة القوى الخارجية بالتدخل في الدساتير والقوانين التعليمية في ترسيخ القيم الغربية من خلال التعليم، بل بلغ حد تدخّل بعض رؤساء أمريكا بأنفسهم لهذا الغرض، فقد قام الرئيس الأسبق بوش بتخصيص ١٤٥ مليون دولار في ميزانية ٢٠٠٤ لتحويل التعليم في المدارس الإسلامية في العالم العربي إلى تعليم علماني.. ودعا كلنتون -في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي بجدّة -الدول الإسلامية إلى تغيير مناهجها الدراسية لمنع ترسيخ العقائد في النظام التربوي[4].

---

(١) د. محمد عمارة (مقدمة كتاب (دفاعًا عن القرآن ضد منتقديه) للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٣٣. مجلة (الأزهر) هدية شهر رجب ١٤٣٦هـ.

(٢) نفسه، ص ١١.

(٣) نفسه ص، ١١، ١٢.

(٤) محمد بن عبد الله الدويش، مقال بعنوان (تدافع القيم في التعليم)، ص ٢٩، ٣٢ مجلة (البيان) ذو الحجة ١٤٣٣هـ، نوفمبر ٢٠١٢م.

كذلك دخل المستشرقون حلبة الصراع، نذكر منهم كنموذج د. كانتول سميث الذي يشغل منصب مدير مركز الدراسات الإسلامية في جامعة ماكجيل بمونتريال في كندا، وله كتاب بعنوان (الإسلام في التاريخ الحديث) يقول فيه: «إن الإسلام بصورته التي جاء بها محمد ﷺ لا يصلح الآن في العصر الحديث، وأن الإسلام لا بد وأن يقبل العلمانية والتحديث إذا أريد له البقاء في المستقبل»[1].

وهو يعبّر عن الاتجاه العلماني الذي يطالب بهجر الإسلام الصحيح المتمثل في القرآن والسنة وتقبل الإسلام الذي يفصّله العلمانيون بأنفسهم. . ولكن هذا الاتجاه مرفوض من جمهور المسلمين الذين يستمسكون بالمصادر الإسلامية الأصلية وهي القرآن والسنة سليمة لم تمتد لها يد العبث، وطالما بقي مسلم واحد على الأرض له دراية جيدة بهذه المصادر الأساسية، لن يروج بين المسلمين أي إصدار غير معتمد للكتب التي تتناول الإسلام[2].

مع العلم بأن كانتول هذا هو واحد من كتائب المستشرقين الذين عمد الغرب إلى تجنيدهم لتحقيق غرضين:

- أحدهما: تشويه مصادر الإسلام ولاسيما كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لصرف المسلمين عنهما.
- الثاني: محاصرة المسلمين بقصد (التغريب) والدعوة إلى التسليم بأن هناك حضارة مركزية واحدة، هي الحضارة الغربية التي لا سبيل للحياة والتقدم بدونها[3]!

هذا، وقد تصدّى الدكتور عبد الرحمن بدوي -رحمه الله تعالى- بقوة للكشف عن

---

(١) وردت هذه الفقرة في شكل سؤال وجهته مريم جميلة إلى الأستاذ المودودي بباكستان. مريم جميلة (الرسائل المتبادلة بين أبي الأعلى المودودي ومريم جميلة عن الدعوة وهموم المسلمين)، ص ٥٣ ط المختار الإسلامي ١٩٩٢م.

(٢) وهو رد المودودي عليها، ص ٦٠ ويقول: «لا أحد سوى الله وحده يعلم ماذا سيحدث في النهاية كعاقبة لهذه الاتجاهات الطائشة الضالة المستخدمة لصالح الغرب وإرضائه».

(٣) د. عبد الحليم عويس (الحضارة الإسلامية- إبداع الماضي وآفاق المستقبل)، ص ٣٠٣، مكتبة الأسرة ٢٠١٢م.

ما بلغه المستشرقون من تعصب أعمى إزاء القرآن الكريم، مبرزًا أخطاءهم وخطاياهم عندما قرءوا القرآن بعيون يهودية ونصرانية، وبسوء نية مسبقة.

كما فضح الافتراءات الاستشراقية الكثيرة على القرآن الكريم والسنة النبوية بكتابيه: (دفاعًا عن القرآن ضد منتقديه)(*)، و(دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)؛ حيث واصل الدكتور بدوي بيان دور الاستشراق في التأسيس لظاهرة الإسلاموفوبيا فقال: «خلال تتبعي للمفاهيم التي تبناها الأوربيون حول نبي الإسلام -محمد ﷺ- انتابني الذهول من جهلهم المطبق، وعدوانيتهم الواضحة، وأحكامهم المسبقة المتأصلة، وتحزبهم الطاغي ضد خصومهم، وهذا لا ينطبق فحسب على الشعب الجاهل والساذج، ولكن ينطبق أيضًا على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين، حتى أنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوربي من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر، لم يكن لدى أي من هؤلاء المفكرين الشجاعة في تحري المعرفة الحقة والموضوعية عن الإسلام ورسوله ﷺ.

وقد شهد (رينان) (١٨٢٥- ١٨٩٢) على تحامل أبناء جنسه وملته من المستشرقين على محمد ﷺ فقال: «لقد كتب المسيحيون تاريخًا غريبًا عن محمد ﷺ. . إنه تاريخ يمتلئ بالحقد والكراهية له»[١].

كما أعلن الكاتب الهولندي (أدريان رولاند) (١٦٧٦- ١٧١٨م) الذي كان عاقلاً في عداوته للإسلام، إنه لم توجه إهانات إلى أي دين بقدر ما وجهت إلى الإسلام. . وقال: «ولقد رأيتني مضطرًا للدفاع عن هذا الدين، خاصة في الأشياء التي نسبت إليه زورًا وبهتانًا إليه، والتي تخجل وجه الحقيقة حين يعتمد على الأكاذيب التي لا تستند إلى أي شيء من الشرعية، وقد ألحقت بالمسلمين أوصافًا كثيرة مثل: خرقاء. . أفظاظ. . مجانين. . .».

●●●

(*) تقديم د. محمد عمارة -هدية مجلة الأزهر - رجب ١٤٣٦هـ.

(١) د. عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)، ج ١، ص ٤٥ ترجمة: كمال جاد الله -دراسة وتقديم: د. محمد عمارة هدية مجلة الأزهر، ربيع الآخر ١٤٣٨هـ.

الفصل الثاني

جـــمــــاعـــــات الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية

جماعات الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية:

تدل الدراسات المتصلة بالجماعات الإرهابية أن هناك منظمات تضم عشرات الآلاف من الأمريكيين، وأنها تشكّل ميليشيات مسلحة، وتقوم بتدريب أعضائها على استعمال السلاح والتفجيرات الحية في معسكرات أو مزارع خاصة أو غابات[1]، وحسب كتاب (جنود الله- اليمين العنصري والديني المتطرف في أمريكا) فإن هذه الجماعات تجمعها مبادئ مشتركة، أهمها:

١- سموّ العرق الأبيض، وأنه هو شعب الله المختار.

٢- لا بد من تحرير أمريكا من جميع الأعراق والأديان الأخرى.

ومن تفاعل المبادئ السابقة فإن أفرادها يعتقدون أنهم مُستعمرون في ظل حكومة شيطانية ماسونية صهيونية، تصادر حرياتهم وتحكمهم بأسلوب ديكتاتوري بهدف السيطرة على أمريكا لصالح اليهود.

ومن ثمّ فقد شجعت هذه الجماعات العمل المسلح، وشاع فيها ثقافة العنف والعنصرية. . . وهناك ثلاثة حوادث عنف كبرى تسجل في ملف هذه الجماعات:

- الأول: عام ١٩٩٢م، وعرف باسم حادث روبي ريدج وأسفر عن مقتل ثلاثة أشخاص.

- الثاني: عام ١٩٩٣م، وعرف باسم حريق مجمع الديفيديين في واكو بتكساس، وأسفر عن مقتل ثمانين شخصاً.

- والثالث: انفجار المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما عام ١٩٩٥م، وأسفر عن مقتل ١٦٨ شخصاً وجرح ٥٠٠ آخرين[2].

---

(١) خالد محمد حامد، مقال بعنوان (الإسلاموفوبيا والعدالة الأمريكية) تساؤلات حول الحقيقة المحترقة، ص ٦١. مجلة «البيان»، شعبان ١٤٢٢هـ-نوفمبر ٢٠٠١م (العدد ١٦٨) تصدر من المنتدى الإسلامي- لندن.

(٢) نفسه، ٦٢.

ويضيف د. سامي محمد الدلال بدوْره إلى تلك الجماعات بقوله:

وهناك مئات الجماعات والميليشيات المنظمة في الولايات المتحدة، والذين يقدر عددهم بما يزيد على مائة ألف مواطن أمريكي، ويؤكد تقرير صدر عام ١٩٩٨م عن مركز «ساوثرن بوفرتي لوسانتر» الأمريكي المستقل والمتخصص في مراقبة التحركات المعادية للسلطة أن المجموعات التي تحرّض على الحقد (تحمل أسماء مثل: النازية الجديدة، فروة الرأس، المدافعون عن العرق الأبيض، الهويّة النصرانية) ارتفع ما بين عامي ١٩٩٦، ١٩٩٧م بنسبة ٢٠٪ ليصل إلى ٥٠٠ مجموعة تضاف إلى ٨٥٠ مجموعة أخرى، منها ٤٠٠ ميليشيا مسلحة منتشرة في أرجاء البلاد، ويقول التقرير: إن عدد التحقيقات التي أجراها جهاز الاستخبارات الفيدرالي FBI خلال ثلاث سنوات من عمليات الإرهاب الداخلي ارتفع من ١٠٠ إلى أكثر من ٩٠٠ تحقيق، ويؤكد (مارك بوتوك) مسئول المركز المذكور: إن معدل المؤامرات الإرهابية الجوية يبلغ واحدة كل شهر، وتتعلق هذه المؤامرات بعمليات نسف جسور أو مبان، أو اغتيال شخصيات رسمية أو اقتحام قواعد عسكرية، أو سرقة مصارف. وفي ١٨/ ٣/ ١٩٩٨م ألقت قوات الأمن القبض على ثلاثة أشخاص تابعين لميليشيا ميتشيجن - أخطر الميليشيات المسلحة- وهم يخططون لتفجير مبان فيدرالية ومحطة تلفزيون وأحد الجسور الكبيرة، وخلال الأسبوع نفسه أعلنت السلطات الفيدرالية عن سرقة طن كامل من المتفجرات في مدينة سليجو شمال شرق بنسلفانيا، ويقول (ميتشيل هاميرز) أحد خبراء الجامعة الأمريكية في واشنطن:

«إن الإرهاب الداخلي يشكل تهديداً متزايداً، وهو أكثر تنظيمًا في أوساط الميليشيات، إنهم لا يستعملون فقط قنابل بسيطة كتلك التي استخدمت في أوكلاهوما سيتي، ولكن مخازنهم تتضمن أسلحة دمار أكثر تطوراً من الأسلحة الكيماوية أو البيولوجية».

يقول د. سامي محمد الدلال: «والسؤال الذي يجب أن تسأله الإدارة الأمريكية لنفسها هو: ألا يحتمل أن تكون هذه الجماعات والميليشيات المدرّبة والمسلحة والمنظمة وراء الحادث المريع؟!

آلأنها جزء من الدولة بموجب الدستور الأمريكي الذي ينص في تعديله الثاني على أن وجود ميليشيا منظمة أمر ضروري لتأمين حرية كل ولاية، والذي يعني أن الدستور الأمريكي مظلة رسمية لإرهاب هذه الجماعات والميليشيات؛ ولذا يغض الطرف عنها؟!»[1].

ولذلك فلا يُستبعد أن تقوم إحدى هذه الجماعات بتفجيرات سبتمبر ٢٠٠١، ومما يرجح ذلك ما ورد بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ يناير ٢٠٢١م أن (أعضاء من الميليشيات والجماعات اليمينية المتطرفة، وبعضهم ارتدى سترات واقية من الرصاص -اقتحموا الكونجرس واشتبكوا مع الشرطة، ونجم عن ذلك أربعة قتلى[*].

هذا، وفي بحث للدكتور سامي الدلال عمّن هم وراء الحادث، لم يستبعد جهاز الموساد الإسرائيلي للأسباب التالية:

- **أولاً:** استفاضت الأخبار بأن أعداداً كبيرة من اليهود العاملين في مركز التجارة العالمي لم يتوجهوا إلى أعمالهم في ذلك اليوم؛ حيث قيل: إن ذلك كان بناءً على إيعازات جاءتهم؛ مما أثار شكوكًا لدى مسئولين حكوميين أمريكيين يريدون معرفة كيف علم هؤلاء بنبأ الهجمات قبل وقوعها!

- **ثانيًا:** تم تأجيل زيارة شارون لأمريكا في آخر لحظة قبل الحادث.

- **ثالثًا:** تم القبض على مصورَيْن من اليهود كانا في مكان الحادث لحظة وقوعه، وقد أفرج عنهما لاحقًا بعد التحقيق معهما، وذلك بكفالة من عمدة نيويورك.

- **رابعًا:** من المصالح التي يجنيها اليهود من وراء العملية، أهمها ما يلي:

١- إيجاد ظروف دولية خطيرة تشغل الرأي العام الدولي عن المجازر الهمجية التي تقوم بها حكومة الكيان الصهيوني بزعامة السفاح شارون بغية وأد الانتفاضة.

---

(١) د. سامي محمد صالح الدلال، مقال بعنوان (الموساد، هل يزج بالولايات المتحدة في أتون حرب عالمية؟)، ص ١٢٠.

مجلة البيان (العدد ١٦٨).

(*) (الأهرام تحت عنوان «بعد ليلة من الفوضى وأحداث شغب دامية بواشنطن» في ٨/ ١/ ٢٠٢١م و[أمريكا في عين العاصفة].

٢- إشغال الرأي العام العالمي بوقائع كبيرة، كحرب عالمية أو ما كان في حكمها تصرفه عن الاهتمام بحدث، مثل هدم المسجد الأقصى الذي تخطط إسرائيل لهدمه خلال المرحلة القادمة وأثناء الحرب المتوقعة، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض الأقصى.

٣- إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام لتنفير العالم منه، وللحد من انتشاره.

٤- تدمير الطالبان وتقويض الدولة الإسلامية في أفغانستان[١].

هذا، وفي تفسير آخر بواسطة أحد عشر مفكراً وخبيراً وأكاديميًّا (عشرة منهم أمريكان والآخر سويسرى)؛ حيث قدموا الأدلة والقرائن والبراهين التي تثبت زيف الرواية الرسمية الأمريكية عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وجمعوها في كتاب بعنوان (الحادي عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية).. وبعد مناقشة الكثير من الأدلة والشبهات ينتهي الكتاب إلى أن زعماء أمريكا من السياسيين والعسكريين خططوا ونفذوا الهجمات بهدف: «إيجاد المبرر وزرع الخوف؛ ولجمع التمويل اللازم لشن ما أسموه الحرب على الإرهاب والتي ليست إلا ذريعة لتوسيع نفوذ الإمبراطورية الأمريكية»[٢].

●●●

---

(١) د. سامي محمد صالح الدلال (الموساد، هل يزج بالولايات المتحدة في أتون حرب عالمية؟)، ص ١٢١، ١٢٢ باختصار مجلة «البيان»، العدد ١٦٨.

(٢) مجموعة من الخبراء- المحرران: ديفيد راي جريفين وبيتر ديل سكوت. الكتاب بعنوان (الحادي عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية) ص ١٧٠ وهو الكتاب رقم (٢٠) من كتاب بعنوان: (ثلاثون كتاباً في كتاب) بقلم: بدر محمد بدر، طبعة سطور الجديدة الأولى ٢٠٠٩م.

الفصل الثالث

ما مدى صحّة الرواية الرسمية؟
وما الهدف من غزو أفغانستان؟

ما مدى صحة الرواية الرسمية؟ وما الهدف من غزو أفغانستان؟

على أثر تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١م قامت وسائل الإعلام الغربية بحملة تجريم للعرب والمسلمين ووضعهم في دائرة الإرهاب مهما رفضوه!

وبسبب متابعة اتّساع دائرة هذه الحملة قام الدكتور جلال أمين بتأليف كتاب خاص عنها بعنوان (عصر التشهير بالعرب والمسلمين - نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م)، وبحث عن جذورها تاريخيًّا، فلاحظ اقتران الاستعمار القديم والحديث بتحقير الشعوب المراد استعمارها واستغلالها، واستخدم في ذلك مختلف الأساليب المجافية للمنطق والحس السليم، كالاحتجاج بفضل لون على آخر، أو جنس بشري على سائر الأجناس، أو بتفوّق ثقافة على غيرها من الثقافات، والتعلل بعدم أهلية الشعب المعتدى عليه لأن يحكم نفسه بنفسه، أو بعدم استحقاقه للحرية، أو بعدم استساغته لها أو رغبته فيها، أو بمنافاة دينه للقيم السامية، ومعاداته لها.. إلخ[١].

إن المسلمين والعرب يتعرضون اليوم، في عصر العولمة وإسرائيل، لحملة تشهير والتحقير لم يتعرضا لمثلها في تاريخهم الطويل. فالمرء يهوله أولاً مدى الاتساع الجغرافي للحملة؛ إذ تمتد من أمريكا غربًا إلى الصين شرقًا، مرورًا بأوربا الغربية والشرقية. ناهيك بالطبع عن إسرائيل وهي لا تقتصر على وسائل الإعلام، بل تشمل تصريحات السياسيين أيضًا، من البيت الأبيض الأمريكي إلى رئيس الوزراء الإيطالي إلى الرئيس الصيني، ووسائل الإعلام المشتركة في الحملة تشمل كل شيء، ليس فقط التلفزيون والإذاعة والصحف والكتب، بل تشمل أيضًا جائزة نوبل للأدب؛ إذ تُعطى الجائزة لرجل اشتهر بدأبه على إهانة المسلمين[٢]!

ولما حدثت أحداث ١١ سبتمبر سارعت الإدارة الأمريكية بإذاعة رواية ملفّقة -بعد أقل من ٣ ساعات من وقوع الحادث، زعمت منها بأن المخططين والمنفذين كلهم

(١) د. جلال أمين (عصر التشهير بالعرب والمسلمين -ونحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠٠م). ط دار الشروق -١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص ٥.

(٢) نفسه، ص ١٩.

إرهابيون، مسلمون، جنسياتهم كلهم إما سعودية وإما مصرية، وزعيمهم سعودي من أصل يمني اسمه أسامة بن لادن، وسبب ارتكابهم لهذه الأعمال كراهيتهم لأمريكا، والهدف غير واضح تمامًا إلا الانتقام من أمريكا، والنفع العائد على هؤلاء الإرهابيين من هذا العمل غير واضح أيضًا إلا إشباع الرغبة في الانتقام!

هذا وقد شكّك كتّاب فرنسيون وألمان في الرواية كلها، وقال بعض القانونيين الإنجليز: إن ما يُقدّم على أنه أدلة ضد هؤلاء السعوديين والمصريين التسعة عشر، هي من الضعف بحيث لا تكفي حتى لتقديمهم للمحاكمة ناهيك عن إدانتهم[١]!

وعندما ورد اسم ابن لادن في الرواية الأمريكية، سارع بالاتصال بقناة (الجزيرة) الفضائية، وأصدر بيانًا لينفي عن نفسه القيام بالهجمات[٢].

ويرجّح الدكتور سامي صالح الدلال صدقه بالنظر إلى الظروف والأحوال المحيطة به والتهديد الدائم لحياته، فيقول: «ولقد عجب كل العقلاء في العالم من هذا الاتهام؛ حيث إن هذا العمل المخطط والمنظم والممول هو أكبر بكثير وكثير جداً من إمكانات ابن لادن المحاصر في بعض فيافي أفغانستان أو كهوفها، والمجرّد حتى من وسيلة الاتصال بالهاتف النقال، والذي هو تحت الرصد المستمر والمتابعة الدائمة من قبل عملاء جميع أجهزة المخابرات الدولية، وأولها الـ CIA وFBI لتحديد مكانه بالضبط لتتم تصفيته وقتله»[٣].

وكان ابن لادن قد صرّح بعد هجمات ١١ سبتمبر بعدة أيام لجريدة (أومات) الباكستانية بأنه يستنكر هذه الاعتداءات ويتنصل من أي نوع من الاشتراك فيها، وأنه لم يكن لديه علم عن هذه الهجمات، كما أنه لا يوافق أبدًا على قتل الأبرياء من النساء والأطفال وأناس آخرين.

---

(١) نفسه، ص ٧٥.

(٢) سمر طاهر، (كيف أصبحت أمريكا سيدة العالم في مجال الإعلام؟)، ص ١٨٤، مكتب الأسرة بمصر، ٢٠١٧م.

(٣) د. سامي محمد صالح الدلال (الموساد، هل يزج بالولايات المتحدة في أتون حرب عالمية؟)، ص ١٢١ مجلة «البيان» العدد ١٦٨.

وأكد للصحيفة أن الإسلام يحرّم بشدة حتى في حالات الحروب مثل هذه الأعمال.

وتحدث أسامة بن لادن في هذا الحديث عن عداء أمريكا للشعوب الإسلامية، وما فعلته في حصار العراق ومع مسلمي الشيشان والبوسنة، فأمريكا لا تريد دولاً تتساوى معها في الحقوق والواجبات، بل تريد دولاً تخدمها وتخضع لأمرها[1].

وطالب ابن لادن الولايات المتحدة بالبحث عن الفاعل الحقيقي بين صفوفها؛ لأن هذه الاعتداءات تتعلق بأناس هم جزء من النظام الأمريكي الذي يحض على الاصطدام بين الإسلام والمسيحية في القرن الجديد، بهدف تحقيق الحضارة الخاصة بأمريكا والوطن الخاص بها والأرض الخاصة والقومية والعقائد الخاصة.

وأكد أندرياس فون بولون وزير الدفاع ومدير المخابرات الألمانية السابق أن الـ CIA جندت مجموعة من عشرة أشخاص لهم شبه كبير بابن لادن، وكانوا يستخدمون كأشباه له.. خاصة بأن البنتاجون على علاقة وطيدة بتكنولوجيا صناعة الأفلام في هوليود.

ويقول مؤلف كتاب (١١ سبتمبر صناعة أمريكية): «إن تلك الأدلة تؤكد عدم علاقة أسامة بن لادن بأحداث ١١ سبتمبر.. وإن الشرائط المسجلة له شرائط مزورة ومفبركة ولا دليل حتى الآن على صحة نسبتها إليه»[2].

ويشاركه في هذا الرأي الصحفي الفرنسي تيري ميسان بقوله: «ابن لادن وأعوانه ليس لهم أي صلة بهذه الأحداث لا من قريب ولا من بعيد، لكنهم حاولوا التخلص منه بعد أن لبس قميص الإسلام المتطرف بعد تعاونه معهم، ولأفكاره المعادية للإمبراطورية الأمريكية. لكن القاعدة أضعف بكثير من أن تدبّر هذه الضربات القوية. فهذا لا يقوى عليه إلا نظام دولي عظيم وبكامل أجهزته، وليس أشخاصًا مختبئين في كهوف ومسلحين، فهم وضعوا أسماء أشخاص من القاعدة وآخرين لا صلة لهم بالقاعدة؛ حتى يؤكدوا للعالم أن الإسلاميين إرهابيون.

---

(١) جريدة (أومات) الباكستانية بعددها الصادر في ٢٠٠١/٩/٢٨ نقلاً عن كتاب (١١ سبتمبر صناعة أمريكية- الخطوة الأولى نحو تغير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد) ص ٣١٩ تأليف: هشام كمال عبد الحميد- ط دار الكتاب العربي، دمشق -القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) نفسه، ص ٣٢٠.

والمثير للسخرية أنهم اتهموا محمد عطا المصري بأنه قائد لقراصنة الجو لاكتشافهم جواز سفره في حطام البرجيْن التوأمين، رغم أنهم حتى اليوم لم يعثروا على الصندوق الأسود بحجة تبخّره من شدة الانفجار، فبأي عقل يلعبون؟؟»[1]!!

ويقول الأستاذ محمد وجدي قنديل: «وهناك احتمال خطير أورده فون بولوف مساعد وزير الدفاع الألماني للمخابرات أن يكون جهاز المخابرات المركزية الأمريكية قد قام بافتعال الجريمة المنسوبة إلى التسعة عشر انتحاريًّا المسلمين، وكان يجب على السياسة الأمريكية توقع ما بعد ١١ سبتمبر وتوجيهه إلى الهدف.

وهناك اتهام قائم بإمكانية أن تكون إدارة بوش من المحافظين الجدد قد ضحت بمواطنيها في تلك العملية... وبهذا يطرح التساؤل: هل كان لدى الحكومة الأمريكية علم مسبق؟ أم أنها أصلاً هي المسئولة عن العملية؟ وقد تردد أن التسعة عشر الانتحاريين قد تم إدخالهم إلى أمريكا قبل الحادث لكي؛ يصبح من الممكن تعليق هجمات سبتمبر بأذيالهم.. ومن المؤكد أن السير الحقيقي للأحداث كان مختلفًا. وأغلب الظن أنه تم إيقاف عمل الطيارين عن طريق قيادة الطائرة المختطفة من بعد.. من قاعدة أرضية.. وقد تم توجيه الطائرتين البوينج إلى برجي مركز التجارة العالمي.. ولكن هذا وحده لم يكن يؤدي إلى سقوط البرجين.. وإذن ماذا حدث حيث كان الطلاب المسلمون هم المنفذين الظاهرين للخطة التي وضعتها أصابع المخابرات».

كذلك تهاوت مصداقية أسماء الخاطفين المزعومين، عندما ظهر أن أحدها طيار مات

---

(١) أدلى بهذا التصريح في حواره مع مندوب جريدة (الأهرام) خالد سعد زغلول الذي نشرته الجريدة بعنوان (تيري نيسان لـ الأهرام: حان الوقت ليكتشف العالم أكذوبة ١١ سبتمبر لينقذ الشعوب من الموت).

وتيري نيسان صاحب نظرية «الخديعة الكبرى» التي جسّد فيها أحداث ١١ سبتمبر وقال المندوب: «كان لنا هذا الحوار معه حول تداعيات انتشار كتابه في العالم. والندوات وحلقات الفكر والنقاش حول أحداث ١١ سبتمبر، وتمكنه عبر الشبكة التي أسسها وتدعى «فولتير» من الوصول إلى نحو مليوني قارئ شهريًّا». الأهرام بتاريخ ١٩ شعبان ١٤٢٧هـ- ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م.

محمد وجدي قنديل، مقال بعنوان (هجمات سبتمبر: وأصابع المخابرات!) جريدة (الأخبار) القاهرة الصفحة الثامنة عشرة ٢٠ شعبان ١٤٢٧هـ، ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م.

بل مع وضوح دور المخابرات البارز في هذا الحدث الكبير، أدّى بالدكتور أندرياس فون، الرئيس السابق للمخابرات الألمانية، إلى تأليف كتاب لمناقشته، وجعل عنوانه: [براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر ودود أجهزة المخابرات]، ترجمة د/ سيد حسان أحمد، منشأة المعارف بالإسكندرية ٢٠٠٤م.

منذ سنتين (أمير نجاري)، وبعضها لأناس أحياء يعيشون خارج أمريكا . . . ومنهم حسين العامدي (طيار سعودي موجود في تونس) . . وأعلن أنه لم يفقد جواز سفره سابقًا . .

والطيار السعودي (وليد أحمد الشهري)، ثم تبيّن عدم صلته بالهجمات وأنه مقيم بالمغرب - حيث يعمل في الخطوط الجوية المغربية- وقد تم تقديم اعتذار أمريكي رسمي له فيما بعد!

وهذا مما يشكك -ليس في هذه الأسماء فحسب- في حقيقة جميع الأسماء المعلنة للخاطفين[1].

وكان لتلك الرواية الواهية الحافلة بالتخبّط والخلط، وما لحقها أيضًا من تبريرات واهية أخرى غير قابلة للتصديق، كان لها أثر عكسي برفض التفسير الرسمي للتفجيرات؛ ومن ثمّ فقد تهاوت أمام عقول واعية، وخبرات علمية مبنية على مشاهدات وتجارب عدّة . .

لذلك قام عشرة علماء أمريكيين ومعهم سويسري في مختلف المهن والاختصاصات بالتحرّي الدقيق، وقدموا الأدلة والبراهين والقرائن التي تثبت زيف الرواية الرسمية عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر برمتها، وقدّموا رواية أخرى مفادها أن تلك الرواية تم استخدامها لدعم أجندة تمّ لها التخطيط مسبقًا، بهدف المزيد من التوسع للإمبراطورية الأمريكية[2].

وقد جمعوا الأدلة والبراهين في كتاب بعنوان (الحادي عشر من سبتمبر والإمبراطورية الأمريكية).

ومما يعزّز مصداقية ما ورد بالكتاب أن مؤلّفيه منهم عشرة يحملون درجة الدكتوراه، وتسعة منهم أساتذة في جامعات عريقة، وواحد يعمل في مؤسسة بحثية شهيرة، وآخر كان ضابطًا عسكريًا يعمل في البنتاجون، أي أنهم من الصفوة التي تبحث عن الحقيقة، وليس للشهرة، وأسماؤهم لها مصداقية عالية داخل المجتمع الأمريكي[3].

---

(١) خالد محمد حامد (الإسلاموفوبيا والعدالة الأمريكية)، ص ٥٨، مجلة (البيان) العدد ١٦٨ .

(٢) بدر محمد بدر (ثلاثون كتابًا في كتاب) ص ١٦٨ طبعة سطور الجديدة الأولى ٢٠٠٩م.

(٣) نفسه، ص ١٦٩ .

وفي كتاب آخر بعنوان (الرقابة والتعتيم في الإعلام الأمريكي) يذكر مؤلفه في أحد فصوله أنه تمّ تهميش بحث لأستاذ في الفيزياء بجامعة بريجام يانغ انتهى إلى أن التفسير الرسمي لانهيار برجيْ مركز التجارة العالمي في منهاتن غير مقبول بناءً على قوانين الفيزياء، ويعتقد الباحث أن القنابل -وليست الطائرات- هي التي أسقطت البرجين، ويقول: إنه لم يحدث قبل مباني مركز التجارة العالمي أو بعدها أن انهار بناء هيكله من الصلب بسبب حريق، ولكن يمكن للتفجيرات أن تفصل الأعمدة الصلب بعضها بشكل فاعل[1].

وأحدثت التفجيرات في نيويورك وواشنطن بشهر سبتمبر عام ٢٠٠١ دويًّا غير مسبوق في العالم بأسره، وشغل الكثيرين من الساسة والصحفيين والإعلاميين وعلماء السياسة وغيرهم، وكانت موضوع دراسات لا تكاد تحصى، ومنهم الأستاذ طارق البشري الذي تتبع تلك التفجيرات منذ البداية، باحثًا عن العلل والأهداف والنتائج.

وأول ما أثار انتباهه أنه بعد ساعات قليلة قيل إنه (فلان) هو من دبر الحادث وأن بلاد الأفغان هي من تأويه، ولم يقدّم أي دليل يثبت أمرًا ولا قرينة تشير إلى أمر، ثم قامت الحرب في ٧ أكتوبر، لا بعد أن ثبت شيء، ولكن بعد أن أحكمت السياسة الأمريكية خطة الغزو والتدمير لأفغانستان... ثم بعد شهرين من القصف والتدمير والتقتيل في الأفغان، صرح الرئيس الأمريكي وحكومته أنهم وجدوا شريط فيديو في بعض المنازل المدمرة «يثبت -الفعل والفاعل»[2]، وهكذا وقع العقاب الغليظ ودمّرت بلد وشرد مئات الآلاف من المواطنين وسقطت حكومة، وطورد رجال وجاع شعب وقتل الآلاف.. ويستطرد الأستاذ طارق البشري قائلاً: «لا أعرف من الذين فعلوا، ولم يقدم إلينا نحن الذين عايشنا هذا الحدث في العالم كله، لم يقدم لنا أي دليل يفيد أو يرجح أن شخصًا معينًا أو تنظيمًا محددًا أو جماعة معروفة هي من قام به. وأنه لا يمكن أن تقوم حجة أو تبرير من هذا الحادث المجهول الفاعل إلى الآن، لا تقوم حجة فيه لضرب أفغانستان وأعمال أنشطة القتل التدمير والتشريد التي تتم»[3]!

(١) نفسه، ص ٧٢ ومحرر الكتاب بيتر فيليبس، والمترجم: أحمد محمود، الناشر: دار الشروق -القاهرة ط ١، ديسمبر ٢٠٠٧م.

(٢) طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان)، ص ٤٤ مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

(٣) نفسه، ص ٤٩.

ولكن يتبين للدارس التداعيات في الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان العالم الإسلامي أنها كانت سبباً في اعتقالات ومواجهة البنية المؤسسية والدعوية الإسلامية، صاحبها حملة تفتيش وإرهاب على الأفراد والحكومات في العالم الإسلامي. . . وأغلقت المدارس الإسلامية والجامعات في الغرب، وعطلت الصلوات في المساجد. وحلّ الخوف، وتركت نساء الحجاب، وقلّ روّاد صلاة الجمعة، وأرهقت المؤسسات الإسلامية، وأصبح الراكب المسلم يُخرج من الطائرة[١].

إن جميع تلك التداعيات ترجّح أن بوش قصد حربًا صليبية. . وأن المواجهة الحضارية للمسلمين قد بدأت قبل عرض الأدلة، وأن السبب الجوهري لغزو أفغانستان الإحساس بخطورة دولة إسلامية، وقد بدأت تصحو وتنفلت من الاستعمار الروسي الطويل، وتنذر بحياة إسلامية جديدة في بلدان واسعة وثروات ضخمة، ومستقبل يعد بالكثير، ما لم تدمّر هذه التوجهات في مربدها. ويضيف الدكتور محمد حامد الأحمري إلى ذلك قوله: «وقامت طالبان بموقف آخر أثار الغرب أيّما إثارة، وهو العالم الذي تؤثر كثيراً في قراراته الجمعيات غير الحكومية -الكنائس تحديداً- هذا الموقف هو الإقدام على سجن مجموعة من المبشّرين ومشروع محاكمتهم، ومحاكمة المرتدّين للنصرانية، وهذه جريمة دولية عند النصارى تفوق في حساسيتها ما يتوقع المسلمون»[٢].

ولا يخفى على أي مراقب أن الغزو العسكري الأمريكي لأفغانستان فيه طابع الروح الصليبية الظاهرة للعيان.

لقد اصطبغت الحرب ضد أفغانستان بالصبغة الصليبية منذ الإعلان عنها بواسطة (بوش) الرئيس الأمريكي والحرص على إحاطتها بالصلوات. ومهما قيل إن الكلمة كانت زلّة لسان، فلا يمكن للمرء أن يقطعها من جذورها النصرانية الغربية، كذلك بدأت هذه الحرب بقداس في كنيسة. . ودعاء بوش بقوله: (وليواصل الله مباركة أمريكا)[٣].

---

(١) د. محمد حامد الأحمري -وهو الأمين العام للتجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية- مقال بعنوان (الإرهاب يباع ولا يعلَم- دعوة للسلام ومواجهة الإرهاب ومحاكم التفتيش) ص ٩١ مجلة البيان العدد ١٦٨.

(٢) نفسه، ص ٩٣.

(٣) حسن قطامش (بدأت الحرب ولكنها. . بدون عنوان)، ص ١٦٨. مجلة (البيان) العدد ١٦٨.

ويرى الأستاذ هشام عبد الحميد أن (مشروع القرن الأمريكي) هو عبارة عن وثيقة لتوجهات الإدارة الأمريكية الحالية، وهي خطة تم وضعها في أوائل التسعينيات بعد حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م. وقد لخّص أهداف المشروع في تسعة أهداف، منها نص الهدف السابع (القضاء على الإسلام أو العمل على تحديثه، وجعله عصريًا ومتوافقًا مع المفاهيم الغربية والأمريكية)[١].

وكانت هجمات ١١ سبتمبر ذريعة للحرب؛ إذ اتّضح أن غزو أفغانستان قد أعدت له الولايات المتحدة ضد طالبان منذ أكثر من ثلاث سنوات! فإن صحيفة الواشنطن بوست - والتي تعد بحق أكثر الصحف الأمريكية دراية بما يجري خلف الكواليس، قد كتبت في عددها الصادر في ١٨ نوفمبر ٢٠٠١م أن الولايات المتحدة وعن طريق وكالة الاستخبارات المركزية كانت بالفعل قد أرسلت ١٥٠ من عناصرها الأكثر تدريبًا والأكثر كفاءة إلى الجنوب الأفغاني؛ حيث معقل حركة طالبان من عام ١٩٩٧م، وهؤلاء الجنود مهمتهم تجنيد العملاء وتنظيم صفوفهم وتدريبهم بتشكيل شبكات تجسس واتصال، وإطلاق عمليات تخريب، واغتيال بحق الأفغان وبحق الجنسيات الأخرى ممن تصفهم بالإرهابيين[٢].

ثم قامت الحرب وصورتها الأجهزة الإعلامية، وعلى ألسنة الساسة أن الغرض هو التحرير وإقامة الديمقراطية وغيرها من العبارات الجوفاء التي تخفي الأغراض الحقيقية، ولكن أسفرت حرب أفغانستان وحرب العراق عن مآسٍ وفظائع يصعب تصديقها، لولا أنها نُقلت بوسائل الإعلام الغربية، بما في ذلك الصّحف الفرنسية والبريطانية وصحيفة (واشنطن بوست) الأمريكية التي نقلت صور من سلوك الجنود المتوحشين الذين أساءوا للإنسانية في كل من سجن (أبو غريب) في العراق، وسجن (جوانتانامو) بكندا لأسرى الأفغان[٣]. يقول الأستاذ محمد بسيوني في تقديم كتابه (العار

---

(١) هشام كمال عبد الحميد (١١ سبتمبر صناعة أمريكية -الخطوط الأولى نحو تغير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد)، ص ٧٣، ط دار الكتاب العربي- دمشق/ القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) نزار بشير (حضارة الدم وحصادها - فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي)، ص ٢٨١، ٢٨٢. ط الزهراء الإعلام العربي- ط ١، ٢٠٠٣.

(٣) محمد بسيوني (العار الأمريكي من جوانتانامو أبو غريب -تعذيب- إذلال- إهانة - صور فاضحة)، ص ٣٢ ط دار الكتاب العربي -دمشق/ القاهرة، ٢٠٠٥م.

الأمريكي): «لن تقوى عقولكم وقلوبكم وضمائركم على الصمت أمام هول المآسي الدنيئة التي عصفت بكل القيم والمبادئ والأعراف الدينية والأخلاقية، بل خنقت النظرة السمحاء للبشرية. .»[1].

ومع كل هذه الفظائع والوحشية القاسية فإنها لم تُجد أمام المقاومة الباسلة لكلّ من شعبيّ العراق (موقعة الفالوجا) والأفغان، ومُنيت الولايات المتحدة الأمريكية بالهزيمة المشينة في الشهور الأخيرة وحتى الآن.

وها نحن نتابع ما تنشره وكالات الأنباء وتذيعه المحطات الفضائية عن المفاوضات الجارية بين الطرفين: الطالبان والولايات المتحدة الأمريكية؛ مما يبرهن على أن القوات المعتدية مُنيت بهزيمة ساحقة، كما انهزمت من قبلها القوات البريطانية مرتين في القرن قبل الماضي ثم القوات الروسية في أواخر القرن الماضي[2]. وكما هُزمت الولايات المتحدة في أفغانستان فقد هُزمت أيضًا في العراق، ففي برنامج إذاعي وتلفزيوني اعتبر وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنر أن الولايات المتحدة مُنيت بهزيمة في العراق، وصرّح قائلاً: «إن هذه الهزيمة قائمة فعلاً بالنسبة لواشنطن في هذا البلد، مذكراً بأن بلاده كانت ضد العملية العسكرية في العراق» . . وشدّد على ضرورة جدولة انسحاب القوات الأمريكية[3].

أما من وجهة النظر السياسية، فيرى الأستاذ طارق البشري أن نجاح الولايات المتحدة في غزو أفغانستان ليس مما يجوز أن تفخر به صاحبة أكبر ترسانة عسكرية في العالم وفي التاريخ، فلم تبدأ حربها إلا بعد أن أجهدت نفسها في كسب دعم الدول الأخرى لها، الأوربية ثم روسيا ثم دول آسيا المحيطة بأفغانستان، ثم كسب صوت الصين. وهي في ذلك لم تعتمد على قوتها وحدها إنما على التفاهم مع الآخرين استعمالاً لأراضيهم أو ارتكانًا على دعمهم المعنوي أو سكوتهم.

---

(١) نفسه (تقديم الكتاب).

(٢) د. سامي الدلال (الموساد هل تزج بالولايات المتحدة في أتون حرب عالمية؟)، ص ١٢٦- مصدر سابق، مجلة (البيان).

(٣) مجلة المختار الإسلامي ص ٢٣، شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر ٢٠٠٧م العدد ٣٠٢.

وكل ذلك هو من مظاهر نسبية القدرة الأمريكية، وأنها قوة مهما كان جبروتها فهي محدودة.. إنها تحارب معتمدة على قوة غيرها وليس على قوتها وحدها.

وكذلك الحادث يُرهص بأننا في بداية البداية لنظام عالمي تعددي، أي نظام متعدد القوى والأقطاب. لا سيما أن الحدث الأفغاني قد نكش عُش وسط آسيا، وجعل هذه المنطقة بؤرة مهمة من بؤر الصراع العالمي في العقود المقبلة، وهي منطقة تحيط بها الصين والهند وباكستان وروسيا وإيران والدول العربية والصراع حولها الآن هو بداياته الأولى.

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠][(١)].

وهناك تفسير سياسي آخر للدكتور أندرياس فون بيلوف، وهو الرئيس السابق لجهاز المخابرات في الحكومة الألمانية حيث قال: (الأحداث الإرهابية في ٩/١١ طبقًا لفهم وإدراك الحكومة الأمريكية كما هو مفهوم لكثير من المعلقين في هجوم بيرل هاربر على الأسطول الأمريكي في ٤ ديسمبر ١٩٤١ وأدى إلى دخول الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية، فإنه ترتب على أحداث ٩/١١ رغبة الرئيس بوش في حرب طويلة ضد الإرهاب والإسلام العالمي)[(٢)].

●●●

(١) طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان) ص ٥٢، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠٠٣م. هذا، ومما يؤكد وصف الأستاذ طارق البشرى مظاهر نسبية القدرة الأمريكية، ما أعلنه كولن باول وزير الخارجية السابق في نهاية ٢٠٠٦ أن الجيش الميداني يكاد يكون قد تبدد، وذلك بين إرهاق إدارة بوش بالعراق وأفغانستان للجيش الأمريكي.

جبرمي سكيل (بلاكووتر) ص٣٦، وهو الكتاب رقم (٣) من كتاب بعنوان (ثلاثون كتابًا في كتاب) بقلم: بدر محمد بدر، ط سطور الجديدة الأولى ٢٠٠٩م.

(٢) أندرياس فون بيلوف (براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر، ودور أجهزة المخابرات) ص٢٥٦/ ٢٥٧، ترجمة د/ سيد حسان أحمد، منشأة المعارف- الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

الفصل الرابع

نشأة الإرهاب

نشأة الإرهاب:

دأب الإعلام الغربي -الأوربي والأمريكي معًا- على إثارة الضجيج والصخب بإلصاق صفة الإرهاب للإسلام والمسلمين، وهي فرية كاذبة ولا دليل عليها ولا أصل لها، ومع كثرة ترديدها والإلحاح على ترديدها ارتبطت بظاهرة مرضية وهي (الإسلاموفوبيا).

ويسهل دحض هذه الأكذوبة المصنوعة بدوائر المخابرات لتهيئة الأذهان إلى الغزو العسكري لبلاد العرب والمسلمين -يسهل دحضها بدراسة مجملة لتاريخ الحضارة الإسلامية، فمنذ رسالة النبي ﷺ ما حل الإسلام في بقعة من بقاع الأرض إلا وقام برفع راية التوحيد (لا إله إلا الله) وإقامة العدل، وقام بتحرير البلاد التي فتحها من رتبة الاستعمار الروماني أو الفارسي واضطهاده الوثني وابتزازه المادي، كما أثبت ذلك الدكتور جمال حمدان الذي وصف الدولة الإسلامية (بالإمبراطورية التحريرية) بكل معنى الكلمة[1].

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «لقد جاء الإسلام بالحضارة التي لا تبيد، والمدنية المبنيّة على حكم الله تعالى وآداب النبوة، فكان التوحيد أساسها، والفضائل أركانها، والتشريع الإلهي العادل سياجها، واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها. وبذلك كله أصبحت مهيمنة على المدنيات كلها، ووضع الإسلام هذه الحضارة الخالدة على القواعد الثابتة مما ذكرناه»[2].

ولا شك أن قاعدة (العدل) تأتي -بعد التوحيد- على رأس تلك القواعد، تلك التي كان الرسول ﷺ حريصًا كل الحرص على تطبيقها بحذافيرها على نفسه، وهو الأسوة لأمته.

وقد روي أنه خرج في مرض موته إلى المسجد فقال للناس: «من كنت جلدت له ظهرًا فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فليستقد منه، ألا وإن الشحناء ليست من

(١) د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، ص ٢٦.

(٢) آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي جـ١، ص ٢٥٩ طبع الجزائر.

طبعي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ مني حقًا إن كان له، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس»(١).

وظلت ركائز الحضارة الإسلامية بمثابة الدعائم لكل البلدان التي فتحتها حتى العصر الحديث؛ إذ كانت الدولة العثمانية هي الحاضنة لرسالة الإسلام والمدافعة عنها إزاء أعدائها.

وما إن سقطت عام ١٩٢٤ حتى تكالبت على بلاد العرب والمسلمين الغزوات الاستعمارية، غزواً ونهبًا للثروات، وحروب استئصال للإسلام وشعوبه، بلغ مداه في فلسطين و(البوسنة) و(الهرسك) خاصة معبراً بذلك عن الإرهاب في ذروته!

وما استطاع الصهاينة إقامة دولتهم إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية الذي ألغاها أتاتورك -وهو يهودي من طائفة (الدونمة)، وكان دور الإنجليز كبيراً في السماح لليهود بالهجرة إلى أرض فلسطين، وسمحوا لهم بتكوين جماعات إرهابية لإرهاب أهل فلسطين وإرغامهم على الهجرة من أرضهم، بعد أن نزع منه الإنجليز سلاحهم فقامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، «وكانت الأقطار العربية كلها تقريبًا محتلة بواسطة إنجلترا وفرنسا»(٢)، ومنذ ذلك الحين اكتوت بلادنا بنار الإرهاب الذي لم تعرفه طوال تاريخها كما يشهد بذلك وقائعه.

يقول الدكتور عبد العزيز الشناوي:

«ظلت الولايات العربية زهاء فترة تراوحت بين ثلاثة وأربعة قرون، من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين، بمنأى عن الزحف الأوربي الاستعماري عليها ما بقيت الدولة العثمانية قوية مهيبة الجانب. فلما دخلت الدولة في دور الاضمحلال، ووضح للدول الأوربية أن القوات العثمانية المسلحة لا تستطيع الصمود بنجاح للهجوم الاستعماري.. بدأ العالم العربي يتعرض للغزو الأوربي المسيحي الاستعماري...»(٣).

(١) تاريخ الطبري جـ٣، ص ١٨٩، ١٩٠ نقلاً عن كتاب (الرسول ﷺ: حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره)، ص ٢٠٦ تأليف الدكتور عبد الرحمن أحمد سالم، ط دار الفكر العربي، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
(٢) علي الجوهري (في الصراع العربي الإسرائيلي)، ص ٧٦، ط مكتبة الزهراء بالقاهرة، ١٩٩٣م.
(٣) د. عبد العزيز محمد الشناوي (الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها)، ج ٢، ص ٢١٨، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م.

وما زالت الدول الأوربية تحرّض الشعوب البلقانية المسيحية التي ظلت خاضعة للحكم العثماني على تحريك الثورات، وإشعال الحروب ابتغاء الانفصال عنها تحت ستار الشعار القديم وهو تحرير الشعوب المسيحية من حكم إسلامي . . . وكان همها في الواقع زوال الدولة النهائي[1].

وهنا لا بد لنا من تأدية الأمانة العلمية، ومن مقتضاها إحقاق الحق وإزهاق الباطل، هذا الباطل الذي تمثّل في الظلم والتعسف والهوى في قراءة أحداث تاريخ الخلافة العثمانية المفترى عليها، يقول الدكتور سعيد عبد العظيم: «لم يقتصر الأمر على الخلافة العثمانية بل تعداه إلى الخلافة العباسية والأموية، بل الخلافة التي كانت على منهاج النبوة، كل ذلك لم يسلم من الدس وقلب الحقائق عن عمد وسبق إصرار، والغرض واضح حتى لا نفكر في العودة للإسلام والخلافة الراشدة»[2].

ويأتينا الخبر اليقين من المؤرخ الجبرتي . . فبعد سرد تاريخ السلطان سليم الأول وبعده ابنه الغازي السلطان سليمان، أخذ في وصف دولتهم؛ حيث اتسعت ممالكهم بما فتح الله على أيديهم وأيدي نوابهم ودانت لهم الممالك في الطول والعرض، وهذا مع عدم إغفالهم الأمر وحفظ النواحي والثغور وإقامة الشعائر الإسلامية والسنن المحمدية، وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين، والتمسك في الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع، فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وهابتهم الملوك وانقاد لهم الممالك والملوك، وكانت منشآت السلاطين العسكرية في المدفعية والهندسة العسكرية وشئون الإمدادات والنهوض فوق مستوى عصرهم، كما لم يكن في وسع أي دولة من دول غرب أوربا أن تقاوم فرق السباهية والانكشارية[3].

وكتب عبد الرحمن عزام باشا -وكان أمين سر جامعة الدول العربية- في الأهرام بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٤٤م- ١٣٦٤هـ يقول: «لما وصل العثمانيون إلى شرق أوربا وكلها سجون أبدية يتوالد فيها الفلاحون للعبودية، فكسروا أغلال السجون وأقاموا مقامها

(١) نفسه، ص ٣٥١.

(٢) د. سعيد عبد العظيم (الخلافة العثمانية)، ص ٦ «صفحات من التاريخ للعبرة والعظة»، دار الإيمان بالإسكندرية، ٢٠٠٤م.

(٣) نقلاً عن (الدولة العثمانية)، ج٢ ص ١٢٨. د. جمال عبد الهادي، دار الوفاء ١٩٩٥م.

صرح الحرية الفردية، فهم الذين قضوا على نظام الإقطاع والأرستقراطية، ليحل محله نظام المواطن الحر والرعية متساوية الحقوق، فوصل في دولتهم الرقيق التركي والصقلي وغيره إلى أكبر مقام في الدولة، كما وصل النابه من عامة الناس، حتى مجهول الأصل، إلى مقام الصدارة العظمى والقيادة العليا، وتعلمت أوربا الشرقية على أيدي محرريها سيادة القانون على الأحساب والأنساب والطوائف والنحل.. فترتب على ذلك تطور هائل في اتجاه الحرية والديمقراطية الغربية الحديثة، وكانت القرون الأولى لسيطرة آل عثمان عصوراً ذهبية شمل فيها الناس الأمن والرخاء والسلام الروحي، ولم يكن فوز آل عثمان مستمداً -كما يظن بعض الناس -من السيف والشجاعة، بل كان مما هو أعظم من السيف والشجاعة، وهو احترام الحق والوفاء بالعهد والخضوع لسلطان الشرع والقانون.

ولو كان الأمر كما تصوّره الذين ينخدعون بآثار دور الانحطاط من استخدام الطوائف، والغيرة بين العناصر والبطش لتغطية الضعف لاستحال أن يدوم ملك آل عثمان ستمائة سنة لا يسندهم فيها إلا سيف مبتور.

ولو رويت لي في رحلاتي بالبلقان وملدافيا أمثلة باقية في لغة العادة من عدل آل عثمان بين بيوت الملك الذي طال أمره وتنوعت رعاياها، وقد ثقلت كفته بالخير والرحمة والمروءة والشرف[1].

وقال الدكتور إحسان حقي: «لقد ظلمنا العثمانيين؛ إذ سميناهم مستعمرين ونحن منهم.. وظلمنا عبد الحميد وسلقناه بألسنة حداد وألصقنا به ما هو براء منه، جريًا وراء دعايات مغرضة وهو من أفضل ملوك بني عثمان، ولكن ذنبه الوحيد أن جاء متأخراً في الزمن ولو جاء قبل قرن من زمنه لأصلح كثيراً من الأمور.. وبالتالي ليس التاريخ أهواء وخيالات ولا هو دعاية وغايات بل هو وقائع وحقائق، يجب أن تعلم وأن تقال كما هي لكي تكون دروسًا وعبراً»[2].

---

(١) د. جمال عبد الهادي، د. وفاء رفعت جمعة، علي لبن (أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ -الدولة العثمانية) ج٢، ١٣١، ١٣٢. دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٢) نفسه، ص٥٦. وقد أورد المؤلفون شهادات زعماء وشعراء وكتاب يبكون الخلافة العثمانية، منهم مصطفى كامل، ومحمد فريد، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومحرم. ومن العلماء: الشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد شاكر، وأمين الرافعي، والسيد رشيد رضا (من ص٧٨ إلى ص١٠٢).

وفي رأي الدكتور سعيد عبد العظيم فليس لمن يقتصر على وصف الخلافة العثمانية في فترة ضعفها أن ينسى فضلها في حماية العالم الإسلامي أكثر من أربعمائة عام من الغزو الصليبي، الذي لم يلبث أن جاء بعد ضعف الدولة العثمانية، وليس من الشفقة بالمريض أن تميته، وكذلك بالنسبة للخلافة العثمانية وغيرها، فليس من علاج قصورها وأخطائها بالفتك بها والتعاون على إسقاطها؛ إذ الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا، ونحن في عالم يسعى إلى التكتل وإقامة الكيانات الكبرى، وهذه التكتلات لا تخلو من عقيدة جامعة، كما لا تخلو من العداء للإسلام وأهله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهم منذ قديم يتجمعون لحرب الإسلام ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ [طه: ٦٤].

إن السنن الشرعية والكونية تدل على أهمية الوحدة وقيمة الاتحاد، ولا بد من ذلك من منهج إيماني قوامه الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، فهذا هو منهج الوحدة والتوحيد. . . والحق مقبول من كل ما جاء به مردود على صاحبه كائنًا من كان، والحق ما وافق الكتاب والسنة، ونظرة سريعة على حال العرب والأتراك بعد غياب الإسلام عنهم تُريك خطورة البعد عن دين الله تعالى، فالمذلة والمهانة تصيب كل من أعرض عن ذكر ربه. . وظهرت الزعامات الوطنية والقومية التي تتخذ من مصطفى كمال أتاتورك المثل الأعلى، انحدر الحال بخير أمة أخرجت الناس. . .[1].

نشأة الإرهاب في بلادنا:

مرّ بنا ما ذكره المؤرخ الكبير د. الشناوي أن الدول العربية كانت بمنأى عن الزحف الأوربي الاستعماري ما بقيت الدولة العثمانية قوية مهيبة الجانب، وإن التنقيب في تاريخنا الحديث ينطبق تمامًا مع ما قاله، فقد كان آل عثمان بوعيهم الإسلامي وشجاعتهم

(١) د. سعيد عبد العظيم (الخلافة العثمانية، صفحات من التاريخ للعبرة والعظة)، ص ١٨، ٢٠ باختصار.

المشهورة عقبة كؤوداً أمام هدف اليهود، وما استطاع الصهاينة تنفيذ مشروعهم وإقامة دولتهم إلا على أنقاض الخلافة العثمانية؛ إذ حقق لهم أتاتورك حلمهم بقيامة بإسقاط تلك الخلافة، وخضع لشروط كرزون في مؤتمر لوزان، وهي أربعة:

١- إلغاء الخلافة الإسلامية.

٢- طرد الخليفة من بني عثمان خارج حدود البلاد.

٣- أن تصبح الدولة العثمانية دولة علمانية.

٤- مصادرة أملاك وأموال بني عثمان[١].

نشأة الإرهاب إذن بقدوم الاستعمار إلى بلادنا العربية والإسلامية، فقد احتلت بريطانيا مصر والسودان والعراق وفلسطين، وهي المسئولة عن الإرهاب الصهيوني؛ حيث ساعدته منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ثم دعمت الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين على حساب العرب، وأمدّته بالسلاح لإخراج السكان العرب من ديارهم وتصفية وجودهم المادي... واحتلت فرنسا بلاد المغرب والجزائر وتونس وسوريا ولبنان[٢].

يتبين من كل ما تقدم أنه كان الأولى بحكومة الولايات المتحدة والإعلام الأمريكي أن تبحث عن سبب جذور الإرهاب التي زرعتها في المشرق العربي المسلم، تلك البلاد التي عاشت سلامًا وأمنًا قرونًا طويلة في ظل حضارة الإسلام، حتى بدأت الحملة العنصرية الصهيونية لتقوم بحملة إرهابية واسعة لإخراج مليون عربي ونصف مليون من دورهم. يقول د. محمد حامد الأحمري: «ولم نر فيما شاهدناه في بلاد المسلمين من نتائج الاحتلال إلا الخوف والفقر والجهل، والإرهاب والحروب، وزيادة الاستعمار العسكري، والقهر والتخلف السياسي»[٣].

وكان هذا هو طابع الاستعمار (القديم)، ثم جاء الاستعمار (الجديد)، فحافظ على

---

(١) د. جمال عبد الهادي وآخرون (الدولة العثمانية)، ج٢، ص ٧٢، مصدر سابق.

(٢) طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان)، ص٤٠، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م.

(٣) د. محمد حامد الأحمري (الإرهاب يباع ولا يعلم: دعوة للسلام ومواجهة الإرهاب ومحاكم التفتيش)، ص٨٨، مجلة (البيان)، العدد ١٦٨.

دوام القهر وفرض السيطرة، مع تغيير الأساليب للخداع وإيهام الشعوب بأنه جاء بالحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان.

جاء الاستعمار (الجديد) بوسائل إضافية، فطالت بأذرعها ميادين الاقتصاد والإعلام والثقافة، وحرصت على نزع الإسلام من قلوب الأجيال الجديدة، حتى يتمكن من السيطرة عليها وإخضاعها التام لنفوذه.

يقول الأستاذ محمد إبراهيم مبروك:

«.. وفضلاً عن الاستنزاف الدائم لأموال أبناء الشعوب الإسلامية الغنية من خلال ألاعيب بورصات التجارة العالمية، فإن التركيز على أبناء هذه الشعوب يتم أولاً من خلال صناعة الحاجز بينهم وبين الإسلام، والضغوط الإعلامية بأن الاقتراب من الإسلام يؤدي بهم إلى الاتهام بتهمة «الإرهاب»، وبذلك يتسنى لهم تشكيل عقول أبناء هذه الأمة من خلال القنوات الإعلامية الموجهة مخابراتيًا، والتي لا تنشر فقط الإباحية والفسق، ولكن تعمل بشكل مكثف على نشر العلمانية والإلحاد، وإعلاء قيم المنفعة والمفاهيم البراجماتية (العملية) الأنانية، حتى سقط الكثيرون من أبناء هذه الشعوب في تخدير الإلهاء الشهواني الدائم»[1].

●●●

(١) محمد إبراهيم مبروك (تهيئة الشعوب للاستعباد في عصر العولمة)، ص ٣٧ (تقرير إستراتيجي) يصدر عن مجلة (البيان) بعنوان (مستقبل الأمة وصراع الإستراتيجيات) - الإصدار السادس ١٤٣٠هـ.

الفصل الخامس

الحملات الممنهجة ضد الإسلام

الحملات الممنهجة ضد الإسلام:

تحت هذا العنوان، كتب الأستاذ جمال سعد حاتم مقالاً فنّد فيه خطاب الكراهية لرئيس فرنسا واتهاماته للمسلمين بأن الإسلام ديانة تعيش في أزمة... وهو بذلك يشارك في الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين (أي الإسلاموفوبيا)، ثم جاءت حادثة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، وإعادة نشر تلك الرسوم، ورافقها إشعال ماكرون الدنيا بتصريحاته العنصرية التي تحض على العنف والكراهية بتأييده لنشر تلك الرسوم، وأنها تأتي تحت «خداع» ما يسمونه حرية التعبير أو الرأي، وهي عنصرية ممقوتة[1].

وقد أجّج بذلك مشاعر الملايين من المسلمين، كما يُسهم بدور كبير في تشويه صدره الإسلام والمسلمين -أي مضمون (الإسلاموفوبيا)!

وسنناقش فيما يلي القضايا المتشابكة المتصلة بهذه التصريحات، وهي:

أولاً: تفنيد وصف (الأزمة) التي ألصقها ماكرون بالإسلام، ويدل على جهله التام به، ولأنّ الأزمة الحقّة هي في حضارته الغربية.

ثانيًا: صلتها ببنية (الإسلاموفوبيا الأيدولوجية) التي تصوّر المسلمين في وضع العدو وتشوه سمعتهم، وذلك باختلاق أكاذيب وأضاليل، بل شيطنتهم وتشويه سمعتهم[2].

ثالثًا: حرية التعبير أو الرأي، وهي أكذوبة فجّة وداعية إلى السخرية أيضًا.

وقبل البدء في الرد على خطاب الكراهية لرئيس فرنسا علينا أن نتنبّه إلى الموقف العنصري الذي يجمع أوربا.

إذ اتضح أن دول أوربا كلها ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، فعندما نشرت صور مسيئة للرسول ﷺ من قبل في الدانمارك، عبرت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل عن رفضها ما أسمته الأعمال العنيفة للمسلمين الغاضبين من نشر الرسوم المسيئة. ورفضت

---

(١) كلمة التحرير لمجلة (التوحيد) بقلم جمال سعد حاتم، ربيع آخر ١٤٤٢هـ تصدرها: جماعة أنصار السنة المحمدية.

(٢) ستيفين شيهي (الإسلاموفوبيا -الحملة الأيدولوجية صفحة المسلم)، ص ٣٤٧ ترجمة د. فاطمة نصر، ط سطور الجديدة، ٢٠١٢م.

ميركل تدخل الحكومة والدولة لمنع الصحف الألمانية من إعادة نشر الرسوم، عملاً بما أسمته حرية التعبير، وعبّرت المستشارة الألمانية عن إحساسها بأن هذا الموقف هو موقف جميع الدول الأعضاء بالاتحاد الأوربي، وأضافت: يجب أن «لا تشعر الدانمارك بأنها معزولة» في إشارة إلى المقاطعة التي تتعرض لها منتجات هذه الدولة من قبل المسلمين في العالم.

هذا، وقد قدم سفراء الدول الإسلامية في جنيف وقدموا شكوى إلى مفوضية حقوق الإنسان في العاصمة السويسرية، اعتبروا فيها موقف الصحيفة الدانماركية محرضًا على العنصرية والكراهية للمسلمين[1].

ويتلخص ردّنا في البنود التالية:

أولاً: الأزمة، والحديث عنها له وجهان:

الوجه الأول: إن الحديث عن أزمة الإسلام يدل على الجهل المطبق به، مع إغفاله المتعمّد للأزمة الخانقة التي تعانيها حضارة الغرب؛ مما أزعجت الكثير من الفلاسفة والعلماء والمؤرخين، وعالجوها من خلال الكتب والمؤلفات والبحوث، وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو بكتاب (أزمة العالم المعاصر).

إنه باختصار يعلل أزمة الفكر الغربي بسبب انحصاره الضيق في النطاق العقلاني؛ حيث حل محل (الحكمة) التي تستند إلى التراث وهي فوق المستوى العقلاني.

وهكذا نشأ ما يمكن أن نسميه «الفلسفة الدنيوية» أي إنكار الفكر الأسمى الحقيقي، وحصر المعرفة في أدنى مستوى والبحث التجريبي والتحليلي لوقائع لا ترتبط بأي مبدأ، والتشتت في كثرة لا تنتهي، وتراكم الافتراضات دون أساس.. وتطبيقات عملية شكلت التفوق الفعلي الوحيد للحضارة الغربية، وأعطاها الطابع المادي البحث الذي جعل منها مسخًا حقيقيًا[2].

---

(١) د. سمير بودينار -المغرب (الرسوم الدانماركية..)، ص ١٩٩ [العالم الإسلامي -عوامل النهضة والبناء] تقرير يصدر عن مجلة البيان -الإصدار الرابع ١٤٢٨هـ.

(٢) رينيه جينو (أزمة العالم المعاصر)، ص ٥٥، ٥٦، ترجمة: سامي عبد الحميد، ط النهار بالقاهرة، ١٩٩٦م.

ثم يقرر جينو أن عدم الاعتراف بأي سلطة فعلية في الميدان الروحي أدّى إلى أن أصبح «الدنيوون الجهلاء» يستبيحون مناقشة أمور مقدسة والطعن في طابعها، بل في وجودها نفسه.

كذلك يقول: «إنه مما لا ريب فيه أن روح العصر الحديث هو روح «شيطاني» حقًّا بكل معاني الكلمة»(1).

هذا، ولعل أصح وصف لأزمة الحضارة أيضًا هو قول الصحفي السويسري روجيه دوباسكويه: «يبدو أنه لا شيء على الأرض يمكنه الهروب من الأزمات التي تزلزل العالم الحديث». لا يكفي الحديث عن أزمة حضارة بعد أن اكتسبت الظاهرة أبعاداً عالمية. يبعث الظلام الوشيك شعوراً متزايداً بعدم الاطمئنان(2)، وبعد عرضه للأدرية الحديثة وما سماها (سخافة الهليستية العدمية).. يرى أن الإسلام يقدم العلاج الأكثر فعالية لمرض العصر(3).

نقد جينو للفلسفة المادّية وهي صبغة الحضارة المعاصرة:

يرى جينو أن استبدال الأيديولوجيات -كالماركسية- في العالم الغربي بالنصرانية دل على أنها لم تكف لتنظيم الحياة بشعبها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية فحاول الفلاسفة ملء الفراغ بالأيدولوجيات، ولكنها أيضًا ثبت فشلها، وها هي تنزوي بعيداً في زوايا النسيان لتعود الشعوب وتتطلع إلى إشباع نهمها للدين. هذه التجربة التي استغرقت أعوامًا طوالاً، وكان ضحيتها أجيالاً تلو الأجيال لم تظهر مأساتها في ظل الحضارة الإسلامية؛ لأن الإسلام بميزان الدين الكامل يغذي حياة بني آدم في كافة أنشطتهم وحركاتهم وتطلعاتهم في الحياة(4).

(1) نفسه، ص ١٢٢-١٧٨.

(2) روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام)، ص ٩ مطابع الشروق. القاهرة، بيروت.

(3) نفسه، ص ٢٣، ٢٤ وعن (أزمة حضارة العصر)، يُنظر كتابنا (التنوير الإسلامي والتنوير الغربي)، ط دار العربية، ،نشا، محرم بك، الإسكندرية.

(4) تقول الفتاة الألمانية (باتينا) المهتدية للإسلام: وكنت أشعر دائمًا وأنا أمارس حياتي الكنسية هذه أنه ما زالت هناك رغبات نفسية لم تأت بها الممارسات الكنسية، لقد كنت أسعى دائمًا إلى البحث عن الكمال الذي يشبع كل رغباتي النفسية (مجلة المسلمون) العدد ٢٩٨، أول ربيع الآخر ١٤١١هـ، ١٩ أكتوبر ١٩٩٠.

تساقطت النزعة التطورية في افتراضات دوركيم وأوجست كونت، وثبت أن الدين مصدره الوحي، وكانت البشرية موحدة بفطرتها، وأن مصدر الشرك ومظاهر الوثنية تأتي من شياطين الإنس والجن.

فإذا استخدمنا المناهج العلمية في النفس والتاريخ والتطور الصحيح، سيتضح أنها كلها تدعّم أولوية عقيدة التوحيد.

إنّ الدين المحرَّف العقائد والذي تنقصه المصادر الموثقة ينسحب أمام التطورات العلمية واكتشافات العلماء في الآفاق والأنفس يُنظر على سبيل المثال كتاب (التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء العلم) موريس بوكاي، وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) ألكس كارليل، وكتاب (الإسلام يتحدّى) وحيد الدين خان.

أضف إلى ذلك أن الفلسفة المادية كشفت عن ضيق أفقها؛ حيث تهافتت أمام العلم الذي برهن على أن الوجود أضخم وأعظم بكثير من هذا الوجود المادي المنظور المحسوس الذي انحصر بداخله خيال الفلاسفة الماديون، بل إن وسائل الإدراك الإنساني قاصرة عن الإحاطة بعوامل بعوالم الوجود، فلا بد إذن من مصدر آخر أكمل للتعريف به ألا وهو الوحي؛ إذ إن العلم عاجز عن فهم الحقيقة المطلقة[1].

ويرجع عدم الاعتراف بما وراء المادة إلى الفلسفة المادية في تاريخ الغرب؛ حيث رفض أصحابها غير الملموس وغير المنظور.

ولكن ظهر أقوى اعتراض على هذه الفلسفة المادية في اتجاهين:

الأول: الفيلسوف الألماني (كانط) الذي ثار على معاصريه من الفلاسفة لموقفهم السلبي وانجرافهم في فلسفة الجماهير العقلية التي تخشى كل ما هو غريب وغير قابل للتفسير، منوهًا بأن الفلسفة تجد نفسها أحيانًا مرتبكة تجاه أمور لا يمكنها دحضها كما لا يمكنها تصديقها.

الثاني: مع توالي خطوات التقدم العلمي واكتشافات العلماء في العالم المادي ومنهم أينشتاين؛ حيث أثبت بنظريته النسبية أن المادة والطاقة هما عنصران يختلف كل منهما

---

(١) بول ديفيز وجون جريبين (أسطورة المادة، صورة المادة في الفيزياء الحديثة)، ص ٢٩. ترجمة: على يوسف علي -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.

عن الآخر وأن المادة يمكن تفجيرها، وقد وجهت هذه الاكتشافات ضربة قاضية إلى الافتراضات والأفكار التي تنسب كل شيء إلى المادة، كما بينت أن عالمنا المادي كما نعرفه ونشعر به بحواسنا الخمس يخفي خلفه عالمًا آخر لم نتمكن بعد من معرفة أوصافه، ويقول أحد العلماء: «إن الحقيقة التي تظهر لنا في الفيزياء الحديثة تتحدّى أية مقدرة على التصور» . . ولا توجد حوادث وليدة الصدفة في الطبيعة[1] .

وفي هذا العالم غير المادي لا وجود للقواعد السائدة في عالمنا كما لا حساب فيه للأوقات والمسافات ولمبدأ السببية، وهناك ما يُسمى بالفضاء المتمدّد، وهو خال تمامًا من أية مادة . . وأن الكون لا حدّ له، وتَصور الفلك بالمفهوم الأرسطي خاطئ تمامًا[2] .

ومن هنا لجأ البعض في الغرب إلى محاولة اكتشاف هذا العالم، فظهر بما يسمى بانتقال الأفكار (التلباثي Telepathie) والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح ومحاولة دراسة الظواهر الخارقة باسم (العلوم الخفية)[3] .

وهكذا ظلّ الإنسان الغربي يدور في حلقة مفرغة، وصفها المستر اليورلاج بقوله: «أصبحت ببساطة الحياة حلمًا من الأحلام، ولا يهم أحدًا غرض كريم وفكرة سامية، وأصبح كل من الناس يدور حول مصنعه أو مكتبه ليل نهار كثور الطاحون، يخدمه خدمة العبيد، وأدى اختراع المراكب السريعة إلى أن أصبح إنسان القرن العشرين دوامة لا هدوء لها ولا قرار»[4] .

كذلك يصوِّر مراد هوفمان (رحمه الله تعالى) هذه الصبغة المادية بقوله: إن النظام

---

(١) نفسه، ص٣٣، ص٩٦ .

(٢) نفسه، ص٩٣ .

(٣) باختصار من كتاب (عالم غير منظور . . خارج القواعد العلمية) جمع وتنسيق: يمنى زاهار، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص٣٣، و ص٢٠٩ .

وعلى أية حال فإن مثل هذه المحاولات تؤيدنا فيما نحاول إثباته أن الإنسان يبحث في مجال لا يملك وسائل معرفته عن طريق الحواس الخمس، والأجدر به الاستضاءة بنور الوحي فيما يعجز العقل بوسائله عن معرفته. ونحن نؤمن عن طريق الوحي بوجود عوالم الملائكة والجن بغير حاجة إلى الوسائل التي يتبعونها هناك، كما يتضح من مضمون هذا الكتاب وعنوانه .

(٤) الإسلام في عالم متغير للإمام أبي الحسن الندوي ص٧٤، ٧٥ دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

الاقتصادي تحول في الغرب إلى «مجتمع متخم بالرفاهية، مجتمع التشتت والكآبة، ويعاني الإنسان الغربي من التوتر..

إن الأمريكي المتوسط له دائمًا طبيب نفسي..

الفارق الأساسي بيد العالمين الغربي والشرقي يتلخص في الفرق بين (الكمية) و(الكيفية).

فالغرب لا يعرف قيمة أي شيء ما لم يستطع أن يعبر عن نفسه بالأرقام، فالقيم الفكرية والروحية لا يمكن تسويقها، من يعش في الشرق يكتشف جودة ومعنى الحياة.

إن الأمر كله يكمن في هذا (النور)، هذا الضوء الذي كان دائمًا يشع من الشرق، إنني بجدالي هنا من كون الإسلام يملك الإجابات الصحيحة عن أسئلة الغرب الكثيرة وأزماته المتعددة، إنما أوضّح وأثبت أن الإسلام ليس طالب إحسان من الغرب، ولكنه مانح رئيس لكثير من القيم وأساليب الحياة[1].

ويرى أن جزءاً من المشكلة يتمثل في قدرة الغرب على الرؤية والفهم ولكنه غير قادر على الفعل، كما هو حال كل الحضارات في حالات انهيارها. لقد صاغ رئيس ألمانيا السابق هيرتزوج يوم ٢٧/ ٤/ ١٩٩٧ قوله: «نحن لا نعاني مشكلة معرفة، ولكن مشكلة هذه المعرفة إلى فعل».

إن القرآن يتضمن أخباراً عديدة عن شعوب لم تستمع إلى صوت الحق ولم تستجب لرسلها، بل ضربت بتحذيراتهم عرض الحائط حتى غربت حضاراتهم تمامًا. والغرب ينظر هذا المصير، فبعد انهيار الشيوعية يتهدده تدمير الذات ومصير الغناء، إلا إذا تجاوز تأليه الإنسان، ووجد طريقه مرة ثانية عائداً إلى التمسك بالقيم الإلهية. ويشير الإسلام إلى هذا الطريق.

ويقول في عبارة جامعة:

أو لم يتضح بالدليل القاطع والبرهان البيّن أن القرن العشرين المنصرم، كان أكثر

(١) (الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود) تعريب: عادل المعلم، يس إبراهيم، مكتبة الشروق ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

القرون دموية في تاريخ البشرية، بكل ما شهده من حروب عالمية مدمرة وانتشار الأسلحة القادرة على إبادة الملايين من البشر، ومعسكرات الإبادة وعمليات التطهير العرقي وغيرها من مآسي البشرية؟

كل هذه يشهده العالم بعد مرور ٢٥٠ عامًا على بداية عصر التنوير ومشروع الحداثة!

وتتركز هذه الأعمال الوحشية المهينة للبشرية في أوربا المتحضرة الشديدة الزهو بعقلانيتها وإنسانيتها (شهد القرن العشرون سقوط أكثر من ثلاثين مليون قتيل من الشباب).

فهل تعاني المجتمعات الغربية من مرض ما؟ أم يتهددها خطر السقوط الأخلاقي كما حدث للبولشفية من قبل؟[١].

وكتب الفيلسوف الفرنسي جارودي -وهو أحد شهود العصر بلا منازع- كتب تحت عنوان [الإسلام هو السبيل إلى الخلاص].

فقال: «إن الإسلام يملك اليوم إمكانية واحتمالات انتشاره بأكثر مما كان في أوج عظمته، فهو يستطيع أمام هذا الإفلاس المستعصي والمزدوج للنموذج الأمريكي والسوفيتي أن يعيد الأمل إلى عالم مهدّد في بقائه بهذا الفشل المزدوج، إنه يستطيع ذلك... إن الإسلام اليوم يعرف كيف يستعيد المبادئ الفعّالة التي صنعت عظمته»[٢].

●●●

(١) نفسه، ص١١.

(٢) روجية جارودي (الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نهضة المسلمين)، ص١١٩، ترجمة د. كمال جاد الله، دار الجليل للكتب والنشر بالقاهرة، الدقي، ط١، ١٩٩٧م.

الفصل السادس

انتكاسة حضارة الغرب واضمحلالها

١- بأقلام مفكرين غربيين:

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف: ٢٦].

في ضوء هذه الآية الكريمة نأتي بشهادة الطبيب وعالم النفس المعاصر ج. أ. هادفيلد في وصفه لأحوال حضارة العصر وآثار الفلسفة في مجال التربية؛ حيث قال: «ولئن كان أصدق معيار للحكم على صحة نظرية ما هو النظر في نتائجها التطبيقية، فللنظر فيما جنته المجتمعات الأوربية والأمريكية من تطبيق النظريات أتينا على ذكرها. حقًا لقد حققت نجاحًا ماديًّا واضحًا تتمثل في التقدم العلمي والتكنولوجي، ولكنها في نفس الوقت خلقت مجتمعًا أشبه بطاحونة ضخمة تسحق الأفراد، وتزرع في نفوسهم الأنانية والطمع، ويغلب عليهم الشقاء والتوتر، أخرجت شبابًا تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى، فريق خلع ثياب المدنية وارتدى الملابس الممزقة، وأطلق الشعور والأظافر، وفريق غرق في ألوان الشهوات والملذّات المختلفة، وفريق ارتكب جرائم السرقة والقتل والاغتصاب والعلاقات الجنسية الشاذة، وآثر بعضهم حياة الغربة والهجرة من مجتمعاتهم: إمّا هجرة جسدية، أعني مغادرة الأوطان، وإمّا هجرة عقلية، أعني الانسحاب من المجتمع والهروب منه عن طريق تعاطي المخدرات أو بمظاهر اللامبالاة، وإما هجرة من الحياة بأسرها، أعني الإقبال المتزايد على الانتحار»[(١)].

وبعد هذا الوصف الموجز لأحوال العصر، سنعرض لرأي الأديب اليوناني بلاخورس الذي عرضه بشكل كامل.

التعريف به:

ولد قسطنطينوس بلاخورس عام ١٩٢٩، وهو مدير مدرسة متوسطة متقاعد، ويعمل حاليًّا كناقد وباحث، درس على مدى عامين وتخرج في جامعات «غراتس» في النمسا وبروكسل، شارك في تأليف العديد من الموسوعات اليونانية وهو ما زال يمارس نشاطاته كعضو فعال في جماعة (الأدباء اليونانيين)، متخصصًا بكل رئيس في كتابة الشعر والمقالات.

(١) د. عبد الفتاح فؤاد (في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام)، ص٥٣، ٥٤، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٢م.

خلال عمله كمعلم حاز على تكريم متميز من وزارة التربية تقديراً لمساهمته المتميزة في مجال اللغة والتراث اليونان، وهو فوق هذا عضو مؤسس وفعال في جماعة «دارسي أرسطو»، وهو عضو مؤسس وفعال في المؤتمر الجامعي للدراسات الفلسفية والحضارية. وكتابه (نحن وعصرنا «الاضمحلال واللامنطقية») هو مصدرنا في عرض آرائه في الأزمة الحضارية المعاصرة. ترجمة ياسر شداد ٢٠٠٧م توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية.

كتب قسطنطينوس بلاخورس عدّة مقالات يصف فيها العصر الحديث جمعها في كتاب بعنوان (نحن وعصرنا- الاضمحلال واللامنطقية) وسنكتفي باختصار بعضها؛ لأنه صوّر ببراعة وصدق أزمات العصر بشكل كامل الفكرية المتباينة.

وكان أمينًا في وصف الإنجازات الإيجابية، وهي السيطرة على الطاقة ووضعها في خدمة البشرية، وغزو الفضاء، والتدخّل في قوانين الهندسة الوراثية، والثورة المعلوماتية والسرعة الهائلة التي يتم بها الآن تبادل ومعالجة المعلومات.

أما المشكلات التي تهدّد المجتمع البشري فهي كثيرة ومخيفة، منها: التلوّث البيئي، ثقب الأوزون الذي يزداد اتساعًا، ازدياد حرارة الكوكب، الخطر النووي وبخاصة أسلحة الدمار الشامل (النووية- الكيميائية- البيولوجية)، كل هذه الأشياء تثير الشك والرعب في قلب الإنسان التكنوقراطي، الإنسان المسلوب الإرادة والذي هو أسير المادة والإعلانات التجارية، وقد علل الكاتب الإنجليزي الكبير «توريني» في كتابه «دراسة التاريخ» هذا الاضمحلال بقوله: «الاضمحلال لا يأتي بلا سبب، نحن الذين نقود أنفسنا إليه، عندما نتخلى عن المبادئ الأخلاقية والروحية في الحياة»[(١)]. أما عن شعار الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ الجميل الساحر للنفوس، فإنه لم يُطبّق أبداً[(٢)]!

وتحت عنوان (نعيش في أخطر منعطفات التاريخ) يعرض لقضايا الثورة الصناعية الصاعدة في كل من الصين والهند.. وتلوّث البيئة بالنفايات التي تهلك الحرث والنسل.. وإبداء القلق من نسبة الاكتئاب والانتحار في السويد التي تحتل المرتبة الثالثة

---

(١) بلاخورس (نحن وعصرنا)، ص٦، ٧.

(٢) نفسه، ص٢٠، ٢٢، ٢٧.

عشرة في قائمة الدول الثرية. . . ويقول: (سيكون القرن الحادي والعشرون- الأكثر إثارة ومأسوية على مر القرون بلا شك «توينبي، توفلر، شبنجلر»).

وفي مقال عن (العولمة) عرّفها كمصطلح بأنها (خضوع الدول الصغيرة، أو حتى دول أكبر إلى القوى الاقتصادية الكبرى)، وفي تعريف آخر (هي ما «يفرضه» أقوياء العالم).

إنّ هذا الأديب اليوناني المرموق، بحكم اطلاعه على المذاهب الفلسفية وثقافة العصر، فقد أُعجب بكتاب «توينبي» الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي بعنوان [دراسة التاريخ]، والمفكر الألماني شبنجلر بكتابه [اضمحلال الغرب]، وكلاهما استخدما لفظ الاضمحلال، وعلل توينبي كما أسلفنا الاضمحلال بالتخلّي على المبادئ الأخلاقية والروحية في الحياة[1].

وقال شبنجلر: «توصلنا إلى قمة التطوّر التكنولوجي، إلى نقطة لم يعد بالإمكان معها السيطرة عليها.

أصبحت هي التي تتحكّم، صار الرخاء -أصبح المثل الأعلى للإنسان العصري، ولم تعد هناك حاجة للبحث عن المعنى الحقيقي لحياة الرخاء بهذا الوصف -يقود الإنسان إلى الاضمحلال واللامنطقية»[2].

ويتّضح من عنوان كتابه أنه اقتبس وصفي الاضمحلال واللامنطقية من شبنجلر. . وأخذ يبحث عن العلاج قائلاً: «لا بد أن نتوقف عن مخادعة أنفسنا. كلّنا مخطئون لما آل إليه عصرنا من انحطاط»[3].

ويتضح من القراءة الفاحصة لكتابه أنه يعني بالاضمحلال التخلّي عن المبادئ الأخلاقية والروحية في الحياة كما قال توينبي، ووصف إنسان العصر الحديث بأنه يُقاس بـ«كم تمتلك»[4]، ويرى لكي نعثر على الطريق الصحيح، لا بد أولاً أن ننعطف إلى أعماق ضمائرنا. نحن محتاجون -أكثر من أي وقت مضى- أن نلتفت إلى «الجوهر الروحي» في دواخلنا.

---

(١) نفسه، ص٥٨، ٦٠ كذلك يصف الإنسان الحديث، بأنه الذي يُقاس بـ «كم تملك»؟! ص٤.

(٢) بلاخورس (نحن وعصرنا)، ص٤.

(٣) نفسه، ص٥٧.

(٤) نفسه، ص٤٩.

هذا الالتفات هو ضرورة ملحّة: أولاً لمحاربة «الأنا» المريضة في أعماقنا، ثم العمل ثانيًا على الاقتراب من كمالنا الروحي[١].

ويمضي في تفسيره (بالمقصود باللامنطقي). فيقول: «ألغينا المنطقتين الأساسيتين في الإنسان وهما: منطقة القلب (منطقة الروح). ومنطقة الإدراك (الفؤاد)، استبدلنا هاتين المنطقتين بالمنطقتين السفليين، وهما: منطقة البطن والفرج، وهذه هي مناطق انحدار الإنسان إلى الحضيض، وتحويله إلى مجرّد وجود مادي»[٢].

لذلك فإنّه يطلق على حضارة العصر: حضارة ملء البطون والقلق الدائم.. التعريف الصحيح للحضارة عنده: هي الحضارة الروحية، أي حضارة الشعور والعواطف[٣]، ويعزّز رأيه بالمقارنة بين الماضي والحاضر، فيقول: «صحيح أنّنا عشنا الحروب والفقر والدمار في الماضي، لكن كنّا نحافظ على الأخلاق والروحانيّات والمبادئ.. كان لدينا أحلام ورؤيا مستقبليّة ومثاليّات وإيمان ثابت. كل هذه الأشياء هي التي كانت تقودنا من نصر إلى نصر... والآن ضاع كل شيء.. منطقة القلب عندنا فارغة»[٤]!

ويعلل ذلك ببعض العوامل: منها ابتعاد أوربا عن المسيحية، فأصبحت مثل جسد الإنسان الذي تبتعد عنه الفيتامينات، وغياب التربية الإنسانية في العصر الحديث... ونظام التعليم الحالي والذي هو نتاج التقنية المتقدمة التي تنتج مواطنًا ماديًا وكميًا.. فضلاً عن ضعف القيم المسيحية الأوربية بسبب ثلاثة فلاسفة:

أولهم ماركس والثورة الاجتماعية، وكير كيغور الذي وحّد بين الله وحياة النّسك، ونيتشه بإنسانه الخارق.

ويرى أن الحلّ لهذه المأساة العالمية، مأساة الاضمحلال سيكون حلاً يونانيًا، ويقصد بذلك حضارة اليونان الكلاسيكية التي ازدهرت بروح المسيحية الخالصة..

---

(١) نفسه، ص٤.

(٢) نفسه، ص١٣.

(٣) نفسه، ص٣٥.

(٤) نفسه، ص٤٢.

مؤيداً الرجوع[1] إلى تعاليم أفلاطون وأرسطو وإحياء النصوص الإغريقية القديمة التي تسهم بفعالية في رفع الروح[2] . . وأطلق على كل ذلك وصف حركة فكرية جديدة . . والتجديد اليوناني .

هذا، وقد كان الأديب اليوناني محقًّا في الحكم على المبادئ الثلاثة للثورة الفرنسية: الحرية -الإخاء- المساواة، بأنها لم تُطبّق؛ ذلك لأن المتابع لأطوار تلك الثورة يلاحظ أنها في بدايتها أسعدت الناس، وكان منهم الفيلسوف الألماني «كانط»، وراح يتعقبها عن طريق الصحافة والأصدقاء .

ولكن تطورات أحداث الثورة بعد ذلك من إعدام الملك السادس عشر وإعدام الآلاف من الناس على المقصلة، وجو الإرهاب والعنف الذي تمسّك به قادتها . . . كل ذلك أساء إلى الثورة، بحيث عدّ الناس الحرية التي تتشدّق بها أنواعًا من الفوضى والتخبط الدموي الأعمى . . وكذلك أدّى إلى الحد من حماس (كانط) لتلك الثورة؛ إذ تجاوزت ما يقتضيه العقل والعدل والمبادئ الإنسانية[3] .

وبالمقارنة فإن من يتابع تصرّفات فرنسا في معاملتها مع سكان مستعمراتها يجد أن تلك المبادئ الثورية كانت قاصرة على مواطنيها بخلاف سكان المستعمرات، فقد قتل الجيش الفرنسي المحتمل لأرض الجزائر، قتل في يوم واحد في مدينة ستيف الجزائرية (٤٥ ألف شهيد)؛ لأنهم طبقوا لوطنهم ما يطالب أي مواطن فرنسي لفرنسا[4]!

ومن تنبؤاته أنه إذا استمر الاضمحلال المعاصر على ما هو عليه -ثقافيًّا واجتماعيًا وسياسيًّا، فبعد سنوات -أو ربما أقل- سيغيب عن برلمانات الدول المتقدمة تلك الصفوة من العلماء والمفكرين المقتدرين، وسيحل محلهم لاعبو كرة قدم، والمطربون والممثلون ومحترفو صناعة الجمال، وكل من لا علاقة له بالبرلمان[5] .

---

(١) نفسه، ص٣٦ .

(٢) نفسه، ص١٠، ١١ .

(٣) نفسه، ص٤٦، ٤٧ .

(٤) د. علي عبد المعطي (اتجاهات الفلسفة الحديثة)، ص٤٥٤، ٤٥٨، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م .

(٥) د. محمد عباس (اغتيال أمة)، ص٢١، مكتبة مدبولي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .

تحذير من فلسفة بعض فلاسفة العصر المؤدّية إلى اليأس والإلحاد:

ويذكر منهم «ألبير كامي» الذي جمع بين الناس والرغبة الهوجاء في الرفض. . و«سارتر» الذي وضع فكرة الطرد، وهي تقول: إن الحياة كاملة ما هي إلا «رغبة لا فائدة منها».

ويحذّر من ماركس وفرويد ونيتشه، وخصّه بالنقد الشديد بسبب قوله: إن الكنيسة هي الجانب الهمجي من المسيحية!

وغيرها من الأقوال التي تثير الغضب والاشمئزاز في كل نفس. . وهو قد جن. ومن ناحية أخرى، فمعروف أنه كان يعاني لأعوام طويلة من مرض تناسلي، قاده في النهاية إلى فقدان قواه العقلية. . وعلى كل حال، فالحق أنه كتب معظم أعماله وهو في حالة مرض نفسي[١]، وقد أخذت أقواله تتجاوز الحدود، وأنه أصبح مشتتًا روحيًا أيضًا، فطوال القرن العشرين تقريبًا فإنه قد انعكس أثره على مجموعة من المجال الأدبي ومن المجال الفكري؛ ولهذا فإن ملاك التاريخ ينشر أجنحته عاليًا، مطالبًا بتغيير خط إبحار الإنسان (الكتلة) العصري، إلى تلك المبادئ الروحية والأخلاقية السليمة.

من واجبنا جميعًا أن نمسك شمعة التنوير -كإشارة مقاومة- لتنقشع الظلماء عن تعفن العالم[٢].

وفي هذا السياق لا نغفل أيضًا موقف «جاك دريدا» أحد فلاسفة العصر من الإنسان، وله دوره في دائرة التفكيك والتشطر، والبعثرة، ليصبح لقيطًا، غريبًا من آبائه من اليونانيين الذين مجدوا مركزية العقل؛ إذ إنه استلهم تفكيك (أينشتاين) للذرّة ونواتها، فطبق قانون الفيزياء وما لها من سطوة علمية، على تهدم الإنسان، وتبعثره في شظايا يستحيل التئامها، واستمد رؤيته من واقع الإنسان الغربي وحده؛ إذ يرى أن هذا الإنسان يصرعه قلق الأنظمة الاقتصادية، والصناعات النووية، والبطالة، وغزو المريخ والزهرة، هو إنسان مخلوع من انتمائه[٣].

---

(١) نفسه، ص٣.

(٢) نفسه، ص٥٧.

ويبدو أنه يقصد بوصف الإنسان العصري بـ (الكتلة) لاستغراقه التام بالمادة مع فقره الروحي.

(٣) د. عبدالعزيز حمودة (المرايا المقعرة نحو نظرة نقدية عربية) ص ٣٧. ط عالم المعرفة -الكويت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

هذا، وقد اتضح للدكتور حسين مؤنس من متابعته لأطوار الحضارة الغربية، اتضح له أن فكرة «التقدم» التي سادت في القرن التاسع عشر وكانت كالقانون الذي يسير التاريخ، كانت خيالاً ووهمًا. وهو يقول (وعامة المؤرخين اليوم على أن ما يسمى (بالتقدم) أو مسيرة التاريخ والحضارة إلى الأمام أو إلى الأحسن إنما هو وهم؛ لأن غرائز الإنسان وأخلاقياته المركبة في طبعه باقية كما هي، بل زادت حدة وضراوة. . . فإن إنسان اليوم مخلوق ضعيف العقل في يده قنبلة يمكن أن يحطم بها نفسه وغيره. وقد عبر عن هذه الحقيقة في كتابه المسمى (التقدم نحو البربرية)! د. حسين مؤنس (الحضارة) ص ٣٦٠ص سلسلة عالم المعرفة/ الكويت ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

تعقيب:

ولعل هذا النقد الواعي -من مثقف أوربي له وزنه- إلى أولئك الفلاسفة وغيرهم، يكون دافعًا لأساتذة الفلسفة بجامعاتنا إلى إعادة النظر في مناهجهم -أي الاهتمام بالمنهج النقدي بإعطائه الجانب الأكبر في الدراسة والتحذير الشديد من انحرافاتهم التي أدّت إلى الاضمحلال الحضاري كما هو واقع معاش. بل إني أرى أن ذلك أصبح واجبًا عليهم؛ لأن الأجيال الجديدة أمانة في أعناقهم، وهم مسئولون عن إنقاذهم من آثار المذاهب الفلسفية المهلكة، بل المدمّرة، وذلك بتربيتهم وفق العقائد والقيم الإسلامية البناءة.

ولنا في تجربة الدكتور زكي نجيب محمود -رحمه الله تعالى- عبرة؛ إذْ قال: وإذا نحن أخذنا الدراسة في جامعاتنا العربية نموذجًا يوضح موقفنا من فلسفة العصر رفضًا أو قبولاً، وجدنا أقسام الدراسة الفلسفية في تلك الجامعات تضع الشرائح الزمنية التاريخية جنبًا إلى جنب، تضعها متجاورة وهي في حياد كأنّ الأمر لا يعنيها، ففي هذه الفرقة الدراسية تدرس الفلسفة الحديثة أو المعاصرة مأخوذة من مصادرها الغربية، وفي تلك الفرقة الدراسية تدرس الفلسفة الإسلامية، فيخرج دارس الفلسفة من الجامعة وهو لا يزال في حيرة: **هل يحاول التوفيق أو لا يحاوله؟**

وإذا حاوله فكيف يكون ذلك؟

ولقد شهدت في حياتي أعوامًا اشتد فيها الصراع بين أساتذة الفلسفة الذين أنيط بهم تدريس الفلسفة الغربية، فكان كل منهم يتعصّب لتيار غربي دون تيار، وكأنّ هذا التيار أو ذاك هو من نتاجنا نحن، وانعكاس لحياتنا نحن[1]!

وبعد عرضه لأهم المذاهب الفلسفية التي يتقاسمها عصرنا، وهي -في رأيه- أربعة: الوجودية، والمادية الجدلية، والبرجماتية، والتحليل... يستخلص أن المحور الفلسفي الرئيس لعصرنا هو النظرة الإنسانية التي تجعل من الإنسان مبدأ وغاية، وتجعل هذه الحياة هي الأولى والأخيرة.

---

(١) د. زكي نجيب محمود (نافذة على فلسفة العصر) جـ٢ ص١٣. كتاب (العربي -٩٨) ١٥/ ١٠/ ٢٠١٤م.

لكن هذه النظرة لا تلتئم مع الوقفة الإسلامية العربية التئامًا كاملاً؛ لأن هذه الوقفة الإسلامية العربية من شأنها أن تجعل هذه الحياة مرحلة أولى لها ما بعدها من حياة آخرة[1].

وبدورنا نقول: ما أكثر مؤلفات علماء الإسلام -قديمًا وحديثًا- التي تتضمن بيان النسق المتكامل لقضايا الألوهية والعالم والإنسان بأدلة شرعية وعقلية أفضل بكثير من مؤلفات الفلاسفة، وما على أستاذ الفلسفة إلا اختيار ما يناسب منها عقول طلابه لإنقاذهم من الحيرة التي أشار إليها الدكتور زكي نجيب محمود، ولإبراء ذمته أمام الله تعالى.. يقول الأستاذ محمد المبارك: «ولن تحل مشكلة العالم المتخبط بسبب المآسي والجرائم والآثام إلا إذا وصلت الحضارة أسبابها بالله، ولم تتخذ منها نفسها إلهًا، سواء أكان العقل أم العلم أم الإنسان أم المجتمع أم الإنسانية، وإلا إذا عادت إلى الإيمان بالمسئولية أمام الله في الحياة الآخرة، واستبدلت بمقاييس اللذة والمال والجاه والعصبيات الطبقية والنسبية والقومية -تلك المقاييس المؤقتة التي لا بد منها في حدود محدودة- مقاييس السمو النفسي المنبثق عن الإيمان بالخالق العظيم -جل شأنه- المسيّر للكون والشعور بعظمته ورقابته والمسئولية أمامه»[2].

والحق أن الشكوى من نظام التعليم عندنا بصفة عامة قد أرّقت الكثيرين من علمائنا، ففضلاً عن د. زكي نجيب محمود رأينا أيضًا القلق البالغ للدكتورة عائشة عبد الرحمن من ظاهرة الغربة الفكرية والثقافية من أبناء الجيل الواحد، وعللته بمناهج المدارس الأجنبية.. وقد صرحت بأنه لن يصلح حال الأمة، إلا إذا قامت بتعديل نظام التعليم وفق منهج إسلامي أصيل وعممته في كافة المؤسسات التعليمية[3].

●●●

---

(١) نفسه ص٢١.

(٢) محمد المبارك (نحو إنسانية سعيدة) ص٨٣. ط٢. دار الفكر -بيروت- ١٣٨٩ هـ- ١٩٧٠م.

(٣) ص ٤٦ من كتاب (الإسلام في مواجهة العصر وتحدياته)، عبد الكريم الخطيب، ط دار الفكر العربي ١٩٧٢م.

الفصل السابع

إخفاق النموذج المزدوج للحضارة الغربية

يتلخّص إخفاق النموذج المزدوج للحضارة الغربية في رأي الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي بكتابه: **حفّارة القبور -الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها-** وذلك في نموذجها السوفيتي الذي قاد إلى نظام تعسفي، وفي نموذجها الأمريكي الذي أعادنا إلى الغابة. ويقول: «يستلزم ذلك، وهو سؤال للبقاء على الحياة الإنسانية، أن نسأل أنفسنا حول أخطاء الغرب، أن نسأل عن وسائل وغايات الغرب، وانحراف النهضة في القرن السادس عشر، وعن اختيار الأهداف النهائية في القرن الرابع، مع تحريفات «القسطنطينية» للمسيحية، واستغلالها كنظرية للسيطرة.

المشكلة الأكثر عمقًا والأكثر أهمية للمستقبل هي تلك الخاصة باختيار الأهداف النهائية، أي أنها مشكلة دينية، أو بالأحرى مشكلة إيمان؛ لأن الأديان وحدها تبحث وتجيب عن الأهداف النهائية للحياة[1].

لم ينجح النظامان الاجتماعيان في الشرق والغرب، لا الأول ولا الثاني، في الإجابة عن هذه الأسئلة الخاصة بالأهداف النهائية، فشلت الرأسمالية لأنها لا ترى أي هدف سوى النمو الكمي لإنتاج السلع والخدمات وأرباحها[*].

وفشلت اشتراكية الدولة في نموذجها السوفيتي، واتّخذت لنفسها هدفًا، لكن اتضح أنها غير قادرة على الوصول إليه بالوسائل التي استخدمتها.. ولم تر هدفًا نهائيًّا أبعد من الأرض.

ولدت كل منهما على نفس التّربة الثقافية الغربية.

اشترك النظامان في اليقين الزائف نفسه، الصادر عن غرور النهضة، وهو أن العلم «التجريبي» والرياضي يمكن أن يجيب عن كل المشكلات ويحلها. الوسائل الهائلة التي خلقها ستضمن السعادة.

---

(١) يقول الأستاذ أحمد أمين: «نرجو أن إحساس الغربي بالشقاء وبالعجز وبالحيرة عن فهم سر الحياة، يُلجئه أخيراً أن يرى المنقذ من كل ذلك، ولعله لا يجد غير الإسلام».

كتاب (يوم الإسلام) ص٤٧، فبراير سنة ١٩٥٢م، دار الكتاب العربي- بيروت.

(*) مصدره: كتاب صامولين -جائزة نوبل- قال فيه: «السوق فعال، لكنه ليس له عقل ولا قلب».

فشل العلم التجريبي في ذلك، مثلما فشل علم الاجتماع الوضعي. أفلست هذه الفرضية الأولى، مثلما فشلت في أن تحل محل الأخلاق. وبالطبع فشل العلم التجريبي والتكنولوجي في أن يقودا وحدهما الإنسانية بنجاح»[1].

كذلك أيّد جارودي ما رآه مالرو (حضارتنا هي الأولى في التاريخ)، الذي إذا طرح السؤال الأهم: «ما معنى الحياة»؟

أجاب: «لا أعرف» على مدى قرن، فشلت كل محاولات الإجابة[2].

وبوعي جارودي أحداث التاريخ الكبرى، وصف عام ١٩٩٢م بأنه خلّد لذكرى مرور خمسمائة عام على سقوط غرناطة، آخر مملكة الثقافة الإسلامية في إسبانيا، الجسر الأخير بين الشرق والغرب، ظلت قرطبة طوال ثلاثة قرون مركز الإشعاع للعلوم والفلسفة والآداب والفنون إلى كل أوربا. وفي عام ١٤٩٢ سُلخت قرطبة عن الثقافة العربية الإسلامية، المصدر الثالث لحضارتها، مع الثقافة اليهودية المسيحية، والثقافة اليونانية الرومانية.. في عام ١٩٩٢ سجّلت حرب الخليج اكتمال العمل الذي بدأ عام ١٤٩٢، وهو انقسام العالم إلى نصفين.

كشف تدمير العراق في عام ١٩٩٢ عن حرب من نوع جديد، حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوربية متنافسة، مثل ما كان من إنجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعي، متعدد الجنسيات متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة... إنه إنذار للعالم الثالث أجمع. بفضل هذا النظام العالمي وريث النظام الاستعماري، فإن خُمس سكان الأرض يتحكّمون في أربعة أخماس ثروات كوكب الأرض، بما فيها البترول عصب النموّ الغربي. يؤدي هذا النظام إلى مصرع ٦٠ مليون إنسان سنويًا، بسبب الجوع وسوء التغذية، يكبّد هذا (النظام العالمي) الجنوب يوميًا ما يقرب ضحايا هيروشيما[3]!

ويضيف إلى ذلك بكتابه (الإرهاب الغربي) قوله: «وتعتبر المشكلة المركزية اليوم،

---

(١) جارودي (حفّارة القبور- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها)، ٨٨، ٨٩، دار الشروق ط ١، ١٩٩٩م.

(٢) نفسه، ص٨.

(٣) نفسه، ص٦، ٧.

ليس فقط في مستقبل الإمبراطورية الأمريكية وتابعيها الأوربيين، لكن في استعادة التوازن للعالم. وتتطلّب وحدته إصلاحًا نحو ٥٠٠ عام من الاستعمار الذي تطرف في عمليات السلب والنهب وإهدار الموارد، وكان وراء المذابح، وولد الانقسام الذي حكم على نصف العالم بالجوع والبطالة والديون في ظل ظروف سياسية مجحفة فرضها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي»[١].

وينظر جارودي إلى المستقبل بتشاؤم بالغ؛ لأنه من رأيه أنه إذا واصل القرن الواحد والعشرون مسيره بهذه الانحرافات، أي إذا قاده -كما كان في القرنين الماضيين- حمقى أقوياء، فإنه لن يستمر مائة عام وستقتل أطفالنا الصغار. كذلك يندب حظّه الشخصي فيقول: «وكان من حظي (أو من شقاوتي) أن أعيش القرن العشرين كلّه تقريبًا، وهو أشد القرون دموية في التاريخ. حيث سال البترول والدم، وازدحم العالم بالمخلفات النووية، التي تهدد أبناءنا لقرون عدة، وبالومضات التلفزيونية التي تفضل العرض الذي يخفي عنًّا الواقع الحقيقي وما نستخلص منه الأدلة التي تقودنا في الحياة»[٢].

ويذكر جارودي أن دور الولايات المتحدة في العالم ينحصر في الحفاظ على قوّتها، باعتبارها القوة العظمى المنفردة لإقناع أي أمّة من الأمم أن تقلع عن تحدّي وتفوّق الولايات المتحدة: «هذا التسلط الذي بدأ بأكبر جملة عرقية، وهي إبادة هنود أمريكا، ثم استمر من خلال الرق والتمييز العنصري ضد السود، وحماية طغاة أمريكا اللاتينية الأكثر دموية في العالم كله، ثم على امتداد العالم كله، من موبوتو في إفريقيا حتى ماركوس في الفلبين، وارتكاب المجازر مثل يوم القيامة في هيروشيما، ومجزرة العراق، وما ترتب على ذلك من خلال التدخل المباشر، أو بواسطة قادة الانقلابات العسكرية، من ضحايا إنسانية، لم يعرف مثلها التاريخ كله»[٣].

ويرى أن الأسوأ من ذلك، في عصر تلعب فيه التقنية الإعلامية، وخاصة التلفزيون

---

(١) روجيه جارودي (الإرهاب الغربي)، ج٢، ص ٧٠. ترجمة: د. داليا الطوخي د. ناهد عبد الحميد، د. سامي مندور. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

(٢) نفسه، ج١، ص ٣٥.

(٣) نفسه، ٦٨.

والإعلام السريع دوراً حاسمًا في تكوين الرأي العام، وتصدير الثقافة الجاهزة، تقوم مسلسلات دالاس والديناصورات وغيرها بتدمير ثقافات دول العالم الخاصة[1].

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أصبح الموضوع الرئيس للسياسة الأمريكية وضع اليد على البلدان النامية[2].

وخذ مثلاً فكرة (السلام الأمريكي):

يرى الأستاذ سامي الرزاز «أنها عبارة خادعة ترجع إلى التاريخ الروماني القديم، عندما كان أباطرة روما القديمة يسمون سيطرتهم على العالم بأسره باسم (السلام الروماني) وبالطبع، كان فرض هذا «السلام» يتم بالغزو والفتح والقمع والقوة العسكرية السافرة لإخضاع الشعوب الأخرى»[3].

كذلك، فإن خطة (العولمة) تسير جنبًا إلى جنب مع خطة الهيمنة الاقتصادية.

يقول الصحفي الأمريكي بوب:

«كان الهدف الشامل للسياسة الأمريكية الريجانية يتمثل في استعادة الهيمنة العالمية في كافة المجالات: الاقتصادية والعسكرية والسياسية والأيديولوجية» والمقصود بالأخيرة ما يسمى (بطريقة الحياة الأمريكية) التي تكتسح أمامها الثقافات الأخرى بحيث تفقد خصائصها الذاتية تمحى وتذوب أمام التيار الجارف (للحياة الأمريكية).

وحتى (التنمية) فإن من ضرورات الهيمنة على بلدان العالم الثالث «تعزيز ودعم نمط التنمية التي تفضله الولايات المتحدة في بلدان العالم الثالث، وهو النمط الذي يؤكد ويركز على أهمية الاستثمارات الأجنبية، والإنتاج من أجل التصدير.. إلخ». والعمل على إفشال أنماط التنمية الاقتصادية البديلة «كما حدث في البلدان الآسيوية أخيراً»!

وإذا توسعنا في البحث عن أزمة العالم المعاصر وأضفنا إلى دائرة (الغرب) الأوربي

---

(١) نفسه، ص٧٨.

(٢) نفسه، ص٦٥.

(٣) كتاب الشرق الأوسط: [الحجاب: (الحروب السرية للمخابرات المركزية الأمريكية) للصحفي الأمريكي: بوب وودا ورد، ص ١٤٧.

دراسة: سامي الرزاز، سينا للنشر بالقاهرة، ١٩٩٠م.

الولايات المتحدة فسنرى أنها لا تملك مشاريع إنسانية للإسهام في حل أزمة العالم، أو تحقيق حياة طيبة -حتى لمواطنيها- وتتبنى -كما يصفها جارودي- مشروع تحقيق زيادة الاستهلاك والإنتاج في بلادها فقط، على حساب الجميع دون موارية «لقد بدأ تدمير العالم، في سبيل تأمين احتياجات الاقتصاد الأمريكي، بشكل طبيعي من أمريكا اللاتينية . . . دون أي مشروع إنساني، إلا مشروع الولايات المتحدة والاستسلام لها، والخضوع لإرادتها»[1].

ويرى أنه ليس أقل دلالة على انحطاط الروح، من التقليد الذي يرجع إلى أيام مطاردة الهنود، وهو امتلاك الأسلحة الفردية الخاصة الدالة على وحشية العلاقات الإنسانية التي تظهر من خلال عدد الشباب الذين يقتلون فيما بينهم، ويتصاعد الخط البياني للوفيات بسبب استخدام الأسلحة النارية.

ونضيف إلى ذلك ما ورد بكتاب السياسي الأمريكي الشهير برجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر وعنوانه (خارج حدود السيطرة)، الذي يهيب فيه بأمريكا أن تفقه دروس التاريخ في ازدهار الحضارات وانهيارها، وفي مدّها وجزرها فيقول: «إن التاريخ يعلمنا أنه لا بد لأية قوة عظمى -لكي تحافظ على دور الريادة- من رسالة حضارية تقوم على فضائل الأخلاق، وتكون نموذجًا يحتذى من الآخرين طوعًا لا كرهًا، وفي غياب هذه الرسالة الحضارية فإن النموذج الأمريكي سوف يُرفض كما رُفض النموذج الشيوعي السوفيتي من قبل»[2].

تعقيب:

ولا يفوتنا -ونحن نعرض لنقّاد الحضارة الغربية الحديثة -أسبقية تحذير بعض علمائنا الأفذاذ في وقت مبكر، أي قبل -استفحال أزمتها- ونخصّ بالذكر منهم العلاّمة: مصطفى صادق الرافعي الذي لم تشغله المعارك الأدبية الحامية التي خاضها في حياته، لم تشغله عن الاهتمام بأثر الحضارة الحديثة، (وأطلق عليها اسم «المدنية») على مجتمعاتنا ونقدها والتحذير من مساوئها، والأخذ فقط بالعلوم والمخترعات فهما أسلحة الحياة. . ومذكرًا بضرورة إحياء المبادئ والأخلاق الكامنة في نفوسنا وهي من روح الإسلام.

(١) روجيه جارودي (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط)، ص٧٧ ترجمة: مروان حموي، ط دار الكاتب، دمشق ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٢) د. سيد دسوقي حسن (دارسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري)، ص٥، نهضة مصر، مارس ١٩٩٨م.

فمن أقواله: «ولا يحسبن أحد أننا نريد بالمدنية العلوم والمخترعات، فهذه نتاج العقل الإنساني يأخذ الناس بعضهم عن بعض فيها، فلا يستغنى عنها ذو عقل في جهة من جهات الأرض، ثمّ هي أسلحة الحياة لا كفاح بدونها، وليس في تركها إلا الاستعباد والاستسلام ثم الموت، إنما نريد بالمدنية الحديثة هذه الأزياء وهذه الزخارف وهذه الفتنة وهذه الأخلاق المؤنّثة، وهذه الرفاهية الممقوته، وهذا التّرف المهلك، وهذا الإعراض عن الدّين، وهذا الخروج عن مبادئه، والتحلّل من أوامره ونواهيه، فكلّ هذا في اعتبار القوم من أصول المدنية الحديثة. وكل هذا من أسباب شقائنا وبلائنا. وما نحن في حاجة إلى شيء أكثر من المبادئ والأخلاق، وهي كامنة فينا ومستقبلنا كامن فيها... وهي من دين الإسلام الحنيف وروحه»[1]. ويقول في كتابه (النظرات جـ١) إن المدنية الإسلامية طلعت مع الإسلام في سماء واحدة من مطلع واحد في وقت واحد، ص١٦٢.

ثم شرح آثار الاستعمار على العرب، وهم أهل هذا الدين.. «فلمّا أصابهم من دهاء السياسة الأوربية وما عبث بهم من أساليبها وحيلها التي جعلت بأسهم بينهم... وتركتهم يخرّبون بيوتهم بأيديهم»[2].

وكما يقول أحد خبراء هذه الحضارة وتاريخها (الدكتور العلّامة محمد إقبال): «إن روح هذه المدنية الغربية ما عادت عفيفة طاهرة»[3].

---

(١) وليد عبد الوهاب كتاب (مقالات الرافعي المجهولة)، ج٢، ص١٨٠.
كتاب المجلة العربية، العدد ٢٤٩، الرياض ١٤٣٨هـ. أصدرت دار إدراك بكفر الشيخ طبعات جديدة لمؤلفات الرافعي ٢٠٢٠م وقد قام بالرد على كرومر الذي قال (إن الدين الإسلامي دين جامد لا يتسع صدره للمدنية الإنسانية، ولا يصلح للنظام الاجتماعي) وقال له ساخراً (أيها الفيلسوف التاريخي: إن كان لا بد من الاستدلال بالأثر على المؤثر فالمدنية الغربية اليوم أثر من آثار الإسلام بالأمس.. طلعت هذه الشمس المشرقة فتمشت أشعتها البيضاء إلى أوربا عن طريق إسبانيا وجنوب إيطاليا وفرنسا، فأبصرها عدد قليل من أذكياء الغربيين فانتبهوا من رقدتهم واستيقظوا من سباتهم) وبعد أن علّل إنكار فضل المدنية الإسلامية بسبب تعصبه الديني قال (لا حاجة بي إلى أن أشرح لك المدنية الإسلامية أو أسرد لك أسماء علمائها وحكمائها ومؤلفاتهم في الطبيعة والكيمياء والفلك والنبات والحيوان والمعادن والطب والحكمة والأخلاق والعمران، أو أصف لك مدنها الزاهرة وأمصارها الزاخرة، وسعادتها وهناءها، وعزتها وسطوتها، فأنت تعرف ذلك كله إنْ كنت مؤرخاً كما تقول!) ص ١٦٦ النظرات جـ١ ط إدراك- كفر الشيخ.

(٢) نفسه باختصار.

(٣) أبو الحسن الندوي (الإسلام -أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية)، ص ١١٠ دار الصحوة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

الفصل الثامن

تهافت وهْم معاناة الإسلام لأزمة

الإسلام لا يعاني أزمة:

إن الرئيس الفرنسي شمخ بأنفه ورفع نفسه فوق قدره وتوهّم تقليد نابليون، غافلاً أنه يعيش في عصر غير عصره، وإن هناك صحوة للعالم الإسلامي، وليقرأ مصير حملة نابليون على مصر، فقد اشتعلت الثورة بقيادة عمر مكرم تحت راية الجهاد الذي رفض منذ البداية التعاون مع نابليون، وأيقن أن منشوره الذي زعم به أن الفرنسيين مسلمون مخلصون يتسم بالزيف والكذب والنفاق! رافضًا أن تصبح مصر تابعة لدولة أوربية ناصبت سلطان المسلمين العداء وانتزعت منه بلداً إسلامية، فكانت النزعة الدينية القوية المتأصلة في نفسه، إنها الولاء للسلطان العثماني، سلطان المسلمين، إنها الالتصاق بالدولة العثمانية على اعتبار أنها دولة الإسلام الكبرى.

واضطر نابليون بسبب هذه الثورة التي اندلعت في مارس ١٨٠٢ قوية جارفة، اضطر إلى الهروب من مصر وعودته سرًّا إلى فرنسا.

وقد علّق الدكتور عبد العزيز الشناوي على هذه الواقعة بقوله: «وهروب بونابرت من مصر من المشاهد التاريخية النادرة، قائد من أكبر القواد العسكريين الذين عرفهم العالم في التاريخ الحديث يهاجم مصر على رأس قوات زاحفة جرارة قوامها ٣٦ ألف مقاتل نقلتهم عمارة بحرية عددها ثلاثمائة سفينة ويحرسها أسطول حربي مؤلف من ٥٥ سفينة، وقبل أن يمر أربعة عشر شهراً على وصوله إلى الإسكندرية إذا بهذا القائد وبعض أصفيائه يتسللون لواذاً في ظلمة الليل من بقعة مهجورة في رمل الإسكندرية ويتخذون طريقهم في البحر سرباً خشية وقوعهم أسرى!»[1].

ولا نتجاوز الحق إذا عللّنا هذا المشهد التاريخي النادر بالجهاد الذي قام به الشعب المصري آنذاك؛ إذ كانت النزعة الدينية الإسلامية قوية ومتأصّلة في النفوس كما صوّرها الدكتور الشناوي.. كما تُعيد إلى الذّاكرة جهاد الشعب الجزائري الذي ضحّى

(١) د. عبد العزيز الشناوي (عمر مكرم -بطل المقاومة الشعبية)، ص٦٢ سلسلة (أعلام العرب) يوليو ١٩٦٧ ص٦٢.

بنحو مليون شهيد أو أكثر دفاعًا عن دينه وحرّيته في العالم الحديث، ومن الموقفيْن يتبيّن صحّة رأي المؤرخ البريطاني توينبي بوصفه للإسلام بأنه (قوّة ديناميكيّة فتية)[1]؛ ومن ثمّ فإنه لا تقف في وجهه أيّة أزمة، وتاريخه حافل بمثل هذه المشاهد.

صلة التصريحات ببنْية (الإسلاموفيا):

ويمكن تعليل تصريحات رئيس فرنسا في سياق «العقدة النفسية» التي أصابت الغرب بأكمله أي بأبسط العبارات: تردّي هاجس الغرب القهري بإلغاء سمو الآخر الإسلامي، كما وصفها د/ وارد تشرشل وقام بتفسيرها في سياق تفنيده لحملة الكراهية ضد المسلمين (الإسلاموفوبيا)، ويرجعها إلى العلاقات المبكرة بين الغرب والعالم الإسلامي، وأطلق عليها اسم (المرض الاجتماعي الكارثي) معللاً إياها تاريخيًّا بالبشاعة التي ارتكبها (مقاتلو الرب) بالقدس، في يوليو سنة ١٠٩٩م[2] وقال: «ولما كان الحس الجماعي غير موجود في الغرب، كان من الضروري تكوين هوية ثقافية، فجسّدتها تلك اللحظة التاريخية لفرط هولها وطبيعتها، ليس كمدلول إيجابي (مثبت) بل كسالب (نقيض)، أي موقف موحد من التمايز الواعي عن الآخر الإسلامي، ووصف ذلك بتردّي هاجس الغرب القهري بإلغاء سموّ الآخر الإسلامي، كما ذكرنا، ويضيف: ليس فقط إلى حد القضاء على وجوده -كما حدث بالقدس عام ١٠٩٩م، بل بانتحال الخصائص التي شكلت المكانة الأسمى للآخر، من خلال إدماج إنجازات الآخر في مفهوم الغرب عن ذاته وتخيّله لها. تمت عملية الإدماج هذه بأسلوب حرْفي لأقصى درجة ممكنة حينما أكل الصليبيون لحوم ضحاياهم المسلمين في معرة النعمان، وعلى المستوى المجازي من خلال الاستيعاب الأوسع، والأكثر استدامة - أي التهام الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا الإسلامية وهضمها[3].

ويقول أيضًا: «إن الدور المفتاح الذي لعبه الفكر الإسلامي كان جليًّا في مولد «الهويّة» الغربية ذاتها»[4].

---

(١) أرنولد توينبي (مختصر دراسة للتاريخ)، ج٤، ص١٧٦. ترجمة: فؤاد شبل، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠١٥.

(٢) كتاب (الإسلاموفوبيا)، ص٥ مصدر سابق.

(٣) نفسه، ص٢١.

(٤) نفسه، ص ١٨.

وهكذا استخدم في التعليل النفسي للإسلاموفوبيا طريقة عالم النفس باري سيكتور الذي ذهب إلى أن مفهوم «الآخر» قد استغل من أجل تنقية الهوية الأمريكية وإضفاء المثالية عليها؛ ذلك لأنه في أعماق الذات الأمريكية، فإن ثمة خيالاً مصابًا بجنون الارتياب والعظمة.. والهدف ترسيخ نموذج نحن/ هم المعياري في ثنائيات «الخير مقابل الشر التبسيطية.. وكان (الآخر) هو الشيوعية سابقًا، وأصبح الآن الإرهاب[1].

هذا، وقد أخذ د. وارد تشرشل على عاتقه تصحيح أباطيل كثيرة متسلحًا بمعلومات تاريخية وجغرافية غابت عن الكثيرين. فهو يرى أن ثمة الكثير من الأباطيل فيما يقال عن مكانة أوربا الثقافية. إن أصل مصطلح (أوربا) ذاته يرجع إلى اللفظ الفينيقي erub الدال على (مكان في ظلام العالم السفلي) وعلى الجهل. ربما يكون من البديهي أن هؤلاء الذين كانوا يسكنون منطقة ظل ينظر إليها لما يربو على ألف عام على أنها لا تعدو أن تكون موضعًا متخلفًا ثقافيًا تلفّه ظلمة الجهل. ولا علاقة له ألبتة بشئون المجتمعات المتحضرة، لا بد أن تلك المشاعر قد أجّجها حس لا يهدأ بالنقص الثقافي مضى يتعمق. وفيما قام (الغرب) فيما بعد بزعم أن أصوله الثقافية تعود إلى حضارة الإغريق القديمة، وقام منذ القرن الثامن عشر صعوداً، بتلفيق «طبخة» إثباتية معقدة مليئة بالتفاصيل، قُصد بها تقديم «البراهين» على هويّة الإغريق «الآرية». فإن حقيقة الأمر هي أن اليونان الكلاسيكية، وسابقاتها، كانت أكثر ارتباطًا ثقافيًّا وجينيًّا بمصر وبلاد الشام من ارتباطها بأية منطقة في الشمال.

والحق أنه تم الحفاظ على الموروث الفكري لليونان الكلاسيكية وتوسيع مداه، وتنقيحه وبشكل حصري، من خلال الجهود الثقافية والعلمية العربية/ الإسلامية لمدة تربو على سبعمائة عام. كان للغرب أن يتعلم كتابات أرسطو وأقرانه من خلال الجامعات الإسلامية العظيمة التي أقيمت في قرطبة وطليطلة وبغداد ودمشق والقاهرة والمغرب وتونس وأصفهان... فإن الدور المفتاح الذي لعبه الفكر الإسلامي كان جليًّا في مولد «الهوية الغربية» ذاتها.

ومثال ذلك فإن ابن سينا قام بأسلوب إبداعي من حيث إعادة النظر في الروابط بين

---

(١) تمهيد بقلم موميا أبو جمال، ص٨.

الله والعالم والإنسان، من خلال إحاطته بنظريات أرسطو الخاصة بالمعرفة وتضمينها (في تفسيراته). لم يُضف فلاسفة اللاهوت الغربيون سوى استخدام مصطلحات ابن سينا الإسلامية بما يتوافق مع الاستخدامات المسيحية. مثلاً: قام روجر بيكون بتطبيق ما قاله ابن سينا عن الإمام المسلم على البابا المسيحي[١].

ويرى د. تشرشل بأنه بعد أن التهم الغرب الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا الإسلامية وهضمها نسبها إلى نفسه[٢].

ومع حرصه على نسبة تلك العلوم إلى نفسه وأنها من إبداعه، وتلك الحقيقة تظهر لكل دارس للتاريخ؛ لأنه يعلم بسمو (الآخر الإسلامي)، فلجأ الغرب بحيل خبيثة، إمعانًا في إنكار فضل هذا (الآخر) عليه، وإخفاء جريمة السطو على تراثه.

ومن ثمّ كان من الضروري (شيطنة) الذين كانوا يؤمنون بتعاليم الإسلام في الوعي الشعبي، وكانت تلك عملية دعائية اضطلع بها رجال الدين بحماس لا يهدأ ولا تنطفئ جذوته.. وخلال فترة قصيرة أصبح من الشائع النظر إلى المسلمين ليس فقط على أنهم أغراب، بل أيضًا على أنهم خطر مهدد، بصفتهم (الآخر) الذين لا ينتمون إلى أشكال الحياة البشرية؛ ومن ثم من الواجب حرفيًّا، لا من الجائز فقط، القضاء عليهم.

وبحلول القرن الثالث عشر، كان توماس الإقويني وغيره من (المفكرين الغربيين) يقومون بوقاحة بسرقة أعمال الفلاسفة من أمثال ابن رشد بزعم أنهم (يفضحون زيفها).

ومجمل القول، فإن منظّري (الإسلاموفوبيا) يتجاهلون عن عمد أو ينكرون عن مكر وخداع الإرث الإسلامي في (الحضارة الغربية).

هذا على الرغم من الاعتراف واسع النطاق بما تدين به جميع المباحث الفكرية تقريبًا للعلوم والدراسات الاجتماعية لذلك الموروث، وبالمثل فقد تم التهام معظم المعرفة الرياضية والعلمية والمعمارية والهندسية التي أدّت إلى ظهور ما يسمى بعصر النهضة [الميلاد الجديد Renaissance] في الغرب[٣].

---

(١) نفسه، ص١٨.

(٢) نفسه، ص٢١.

(٣) صفحات ١٨/ ١٩/ ٢٠/ ٢١ باختصار شديد.

كذلك تتفق د. هونكه العالمة الألمانية(*) مع د. تشرشل في ما ذهب إليه فتقول: «لقد كانت صدمة نفسية تغلغلت الفرنسا وزعزعتهم؛ إذ هوى الشعور بالثقة والاعتداد بالنفس في هوّة سحيقة جريحًا، والكبرياء التي نفخت في أوداجها دعاية مسمومة لا خلاق لها، تقطر مقتًا، وتشعل جذوتها أعلى سلطة ليس لديها شعور بالمسئولية، كل ذلك نما نموًّا متراكبًا مكونة عقدة نفسية غائرة لا زالت تحكم موقف العالم النصراني في الغرب ونظرته للعرب والنفسية العربية منذ ذلك الحين حتى اليوم»[1].

كذلك اختارت عنوانًا- مشابهًا للفصل السادس من كتابها (الله .. ليس كذلك) وهو [الصدمة النفسية (العربية) للغرب تنشط من جديد] وقالت: «إن الصدمة النفسية العربية المتغلغلة في كيان الغرب -والتي لم يشف منها في مجموعها بوجه عام، على امتداد ألف عام فيما عدا استثناءات بهيجة، صارت اليوم تنصب على الأتراك، ظلمًا وإجحافًا ثائرًا أرعن»، وتقول: «وإذا كنا اليوم -بالنظر إلى النداء إلى شن تلك الحملة الصليبية- نستبدل الترك بالعرب ونصفهم بأنهم حزب الشيطان المعتدون .. فإن الوقت قد حان أخيرًا لنطرح عنا غرورنا، وكبرياءنا الزائفة، وأن نحطم ذلك السد الحائل المخزي الذي أقامته الصدمة النفسية المتغلغلة فينا، نتيجة الفخر الكاذب والإجحاف الظالم... **إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافًا**، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه .. وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو»[2].

(*) الدكتورة زيجريد هونكه: باحثة في ميدان فلسفة الحضارة، والرئيسة الشرفية لكثير من الهيئات العالمية في هذا المضمار، وعضو شرف بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة منذ ١٩٧٣، وقد حصلت على عدة جوائز وأوسمة.

ويقول ناشر الكتاب: «إن صدور هذا الكتاب في هذه الفترة العصيبة التي تشهد ضراوة العدوان على أرواح المسلمين وممتلكاتهم وحرياتهم .. في مناطق مختلفة من أوربا».

(١) زيجريد هونكه (الله ليس كذلك)، ص٢٥.

(٢) نفسه، ص١٠١ ترجمة د. غريب، محمد غريب دار الشروق ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

وتقول أيضًا (لقد تفتحت أعين الصليبيين بعد أن لمسوا حقيقة خصومهم .. فوجدوهم بشرًا مثلهم، بل إنهم أرقى منهم وأرجح فكرًا، ليس في فن الحروب فحسب، وليس في تفوقهم في تسليحهم واتخاذهم الصلب أو الفولاذ الدمشقي في صناعة أسلحتهم ودروعهم وتنظيمهم مشاة وفرسانًا بل وفي بناء حصونهم وقلاعهم .. وطول باعهم في العناية الطبية في الميدان (ص ٢٥).

هذا، ومن أهم المصادر التي توسعت في بيان أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الفكر الإنساني وفي بناء الحضارة الغربية وما أحدثته من صدمة في نفوس الغربيين؛ كتابان للأستاذ حيدر بامات: أحدهم بعنوان (مجالي الإسلام)، والثاني (دور الإسلام في بناء المدنية الغربية)، يقول د. عبد الوارث عثمان: «إن أوربا كانت تعيش ظلامًا حقيقيًّا من كل النواحي، جهل وتخلف، وظلم اجتماعي، وطغيان سياسي، وغير ذلك، وكانت الكنيسة محور ذلك الوضع التعيس، واتصلت أوربا بالعالم الإسلامي وحضارته عن طريقتين: مجاورتها للأندلس غربًا، وبمناسبة الحروب الصليبية التي دعت إليها الكنيسة شرقًا. ومن خلال المكوث في بلاد المسلمين في المشرق اكتشف عامة الأوربيين واقعهم المرير الذي كانوا يعيشون فيه بمقارنته بما كان يعيشه المسلمون من علم مبذول وحث عليه وتشريع سابغ لكل مرافق حياتهم وعمرانهم، ومعرفة بالصنائع والاعتناء بمحاسن العيش؛ مما أوقع لديهم صدمة عادوا بآثارها إلى بلادهم، حاملين تغيير أحوالهم بناءً على ما رأوه»[1].

ثالثًا: آحرية التعبير والرأي أم الازدواجية في المعايير؟!

وهي -كما وصفنا آنفًا- أكذوبة فجّة وداعية إلى السخرية أيضًا، إذا ما قارناها بالموقف الرسمي لفرنسا؛ حيث حوكم الفيلسوف جارودي بسبب فحوى كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية).

ونتساءل باستنكار شديد: آحرية الرأي والتعبير أم الكيل بمكيالين والازدواجية في المعايير؟!

إن المفارقة الكبرى الدالة على أكذوبة (حرية الرأي) والكيل بمكيالين، والازدواجية في المعايير هي محاكمة الفيلسوف جارودي بسبب كتابه الذي شكك من خلاله المقولة العارية عن الصحّة، والتي تزعم حرق ستة ملايين يهودي في محارق النازي.

وقد تزامنت هذه المحاكمة مع ما كان يفعله السفاح رئيس الصرب -بحقده الصليبي- من قتل وإبادة المسلمين في كوسوفا وإجبار ما يقرب من مليون مسلم إلى الهروب إلى الحدود في جو غير إنساني بشع.

(١) مقال بعنوان [الأشواك الجارحة في حقلنا الإسلامي المعاصر] مجلة التوحيد ربيع آخر ١٤٤هـ، تصدر عن جماعة أنصار السنّة المحمدية بمصر). بقلم د/ عبد الوارث عثمان.

وهكذا أزيح الستار عن زيف بريق حضارة الغرب المصطنع، فكشف عن أمرين هما:

الأول: استخدام علّة (حرية الرأي) تبريراً للإساءة إلى الإسلام والمسلمين بوقاحة وانحطاط بالغيْن.

الثاني: عبّر (الجزّار) الصربي بتصرفاته في كوسوفا عن دموية الإرهاب الغربي برمّته.

وفيما يلي خبر محاكمة جارودي، ونشره يُغني عن التعليق:

بسبب محاكمة جارودي: نشرت جريدة (الحقيقة) القاهرية الخبر التالي:

الرئيس الفرنسي أمام محكمة شمال القاهرة اليوم:

تنظر اليوم محكمة شمال القاهرة الابتدائية الدعوى التي رفعها نبيه الوحش المحامي ضد كل من الرئيس الفرنسي جاك شيراك ووزير عدله، يطالب فيها بدفع مائة ألف دولار أمريكي لكل مسلم في أنحاء العالم، أصيب بأضرار نفسية من جراء التفرقة العنصرية في محاكمة المفكر الإسلامي روجيه جارودي مع إلزامها بالمصاريف والأتعاب.

قال الوحش في دعواه: إن التهمة المزعومة التي قدم بسببها جارودي للمحاكمة كانت بسبب كتابه الذي صدر عام ١٩٩٦ تحت عنوان (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، والذي شكك من خلاله في المقولة العارية عن الصحة لدولة إسرائيل والتي تزعم حرق ستة ملايين يهودي في محارق النازي.

قال: إن هذه المحاكمة تمثل فضيحة كبرى للديمقراطية الغربية؛ حيث إن فرنسا قدمت المفكر الإسلامي للمحاكمة لمجرد نقده للسياسة الإسرائيلية، رغم ما كانت تدعيه من أنها بلد الفكر والتعبير والحرية والديمقراطية، مؤكداً أن الأمر كان سيختلف لو أن ما قاله جارودي جاء على لسان شخص آخر غير مسلم، وهو ما يمثل عنصرية واضحة سببت لكل مسلم أضراراً نفسية وأدبية، يحق معها مطالبة الحكومة الفرنسية بتعويض المسلمين المتضررين[1].

(١) نُشر الخبر بجريدة «الحقيقة»، وكان رئيس تحريرها الأستاذ محمد عامر (وفاتني ذكر تاريخ النشر).

الفصل التاسع

نقد (الإسلاموفوبيا) وفق المنهج العلمي

نقد حملة الكراهية (الإسلاموفوبيا) وفق المنهج العلمي: سنعرض هنا لموقفين:

- **الأول**: للدكتورة هونكه العالمة الألمانية.

- **والثاني**: للعالم البريطاني فريد هاليداي.

إن الدكتورة هونكه من القلائل الذين رفضوا بشدة أيدولوجية حملة الكراهية (الإسلاموفوبيا) ضد الإسلام والمسلمين، واعتبرتها إصراراً من الغرب على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسّفة والافتراءات الجماعية زمنًا، وقد أهال ما أهال طمسًا منه لمعالمها.

لذلك قامت بإصدار كتابين لكي تخرج إلى النور الإنجازات والتأثيرات العربية ذات الفضل على العلوم والفنون في أوربا: أحدهما بعنوان (شمس الله تسطع على الغرب) عام ١٩٦٠، والثاني (قوافل عربية في رحاب القيصر) عام ١٩٧٦[(١)]، وقد قامت بدراسة علمية لتظهر أن حملة الكراهية قائمة على الخصومة والافتئات بلا سند، بينما المعلومات الموضوعية تثبت سطو الغرب على إنجازات العرب العلمية، خاصة مبتكراتهم ومخترعاتهم، فيدعها لنفسه، ناسبًا إياها لغير أصحابها من الأوربيين، فإذا أعوزته الشخصية الأوربية راح يلتمس شخصية وهمية يخترعها ويلفق في ذلك الأساطير، وتقول: «وإن موضوع الساعة الخطير ليحتم ضرورة فضح تلك الأحكام المتجنية والمتعسفة وإزالتها، وشتى المعلومات الفجة الظالمة الزائفة، التي تلصق منذ قرون بالإسلام، وبمن حملوه ودانوا به وبلّغوه كما ينبغي، وكذلك بتاريخ هذا الدين»[(٢)].

وهي تنتقد التشويهات التي ألصقت بالإسلام زوراً بالعقدة النفسية التي دفعت بالمؤرخين الغرب إلى كتابة تاريخ المسلمين بأسلوب مغرق في الخيال ومليء بالأساطير.

---

(١) نفسه، ص٨، وقد تُرجم الكتاب الأول إلى اللغة العربية بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية).
(٢) نفسه، ص٩.

-ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ويقع في ٥٧٦ صفحة من القطع الكبير، ط ٢٠١٤م. كذلك نوجه القرّاء إلى دراسة جادة بكتاب (تاريخ صنائع) لمؤلفه الأمريكي مايكل مورغان- وهو دبلوماسي سابق يعمل بالكتابة والصحافة حاليًا؛ حيث ألقى الضوء على الفترات الزاهرة في تاريخ المسلمين، وكيف قدم علماؤهم الكثير والكثير في مجال العلوم النظرية والتطبيقية.. داعيًا إلى التواصل والتعامل مع العالم الإسلامي بدلاً من اتهام المسلمين في وسائل الإعلام الغربية بالعنف والإرهاب، كتاب رقم (١٧) من كتاب (ثلاثون كتابًا في كتاب)، مصدر سابق.

وتضرب على ذلك مثالاً من أحد كتب التاريخ الألماني المدرسية؛ حيث يبلغ الافتئات مداه بالسطور التالية:

«إن قارتنا جميعها تهددها خطر الوقوع تحت قبضة حكم استبدادي غريب، حكم جنسي سامي، ويجسر ذلك الكتاب المدرسي على ملء مخيلة التلاميذ الصغار بصورة مجسدة لذلك الخطر المزعوم الذي كان على وشك العصف بأوربا على أيدي الجحافل الهمجية، سود البشرة، واضعي سيوفهم قتلاً، واطئين بحوافر بغالهم كل كائن حي يعترض طريقهم»(١).

وفي نفي هذه الصورة الخيالية تذكر د. هونكه أنه لا مراء أن تاريخ الغرب نفسه يثبت البراهين العكسية الدامغة التي تدحص وتفند تلك التشويهات التي تصور الإسلام بأنه يشكل خطراً يتهدد البشرية والحضارة الإنسانية وتقول (مثال واحد فريد من نوعه إبان تلك العصور لتفنيد تلك التخرصات، ولك أن تقول: «وحسبك الوجه المشرق لتلك الميدالية الحالكة السواد، والذي أشرق على البشرية حقبة مباركة لم تكن بالقصيرة، وإنما قرابة ثمانية قرون، نعني إسبانيا!»(٢).

وكان حكمها هذا بناءً على دراسة علمية شاقة بكتابها الفذ (شمس العرب تسطع على الغرب)، حيث تتبعت نشأة العلوم عند العرب ومبتكراتهم ومنجزاتهم، وبخاصة أنهم اعتبروا التجريب هو المعوّل عليه كطريقة البحث المثلى لاستخلاص القوانين.. مثل ابن الهيثم والكندي، وينسحب هذا أيضًا على الرياضيات وذلك بوضع المعادلات والقوانين وتنفيذها عمليًا للإفادة منها.. ونقل هذا المنهج إلى الغرب روجر باكون (١٢١١- ١٢٩٤)، بعد أن حذق اللغة العربية، باذلاً في ذلك غاية الجهد(٣).

---

(١) نفسه، ص٤٨.

(٢) نفسه، ص٥٢ ولكن الأرجح أن مدة تلك الحقبة استمرت نحو ألف عام؛ لا ثمانية قرون فحسب، وتقول في كتابها (شمس العرب تسطع عن الغرب):

«حوّل العرب الأندلس من بلد فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف يقدّس العلم والفن والأدب- قدّم لأوربا سبل الحضارة وقادها إلى طريق النور»، ص٥٤١.

(٣) نفسه، ص٨٦.

وقد أخذت مؤلفات العرب وأعمالهم تتدفق على أوربا منذ القرن الحادي عشر، وازداد تدفقها خاصة في القرن الثاني عشر، وقد صادف ذلك أعظم ترحيب لدى الدوائر التي احتفلت بالدراسات الطبيعية مثل المدارس العليا في فرنسا وألمانيا وإنجلترا؛ حيث كانت علوم العرب تُدرّس بفهم شديد «وبلغ رجحان كفتها درجة جعلت بعض الأعلام مثل أدلهرد فون باث يعترف أنه كثيراً ما نحل أفكاره الخاصة مؤلفين عربًا، يبتغي بنسبتها إليهم أن يظفر لها بالتأييد فتسود»[1].

وبصفتها أستاذة جامعية، ومؤرخة باحثة في ميدان فلسفة الحضارة وفق الطريقة العلمية قامت بتصحيح ذلك كله، فقالت: «إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوربا عدة قرون تجعلنا نعجب أشد العجب؛ إذ هي لم تكن امتداداً حضاريًّا لبقايا حضارات غابرة أو لهياكل حضارة محلية على قدر من الأهمية، أو أخذ نمط حضاري موجود، أو تقليداً ينسج على مثاله المعهود، كما في الأقطار الأخرى مهد الحضارات في الشرق... إن العرب هم الذين أبدعوا إبداعًا يكاد يكون من العدم هذه الروعة الحضارية الشامخة في إسبانيا... أما ذيوع صيت جامعات إسبانيا العربية وعلو كعبها في المعارف، فقد جذب إليها صفوة الباحثين المبرزين في العلوم والفنون والمعارف والآداب..»[2].

تلك هي الوقائع التاريخية الصحيحة المؤيدة بالوثائق والآثار الفعلية، فلم إذن التشويه والمغالطات؟

تعلّلها الدكتور هونكه بالعقدة النفسية التي تسد الطريق أمام كل معرفة موضوعية تتفق مع الواقع الحقيقي، دون بذل أي محاولة أو أي استعداد للنظر في الواقع الفعلي

---

(١) نفسه، ٨٧. وقد تُرجمت إلى اللاتينية مؤلفات الأعلام العالميين من العرب، أمثال أبي القاسم وابن زهر وابن رشد وابن طفيل وأبي مروان وابن الخطيب والبطرجي وابن البيطار وابن فرناس وابن خلدون وعلي الرجال وجابر بن أفلح، وغيرهم من الأعلام الذين أثروا الغرب الذي أعوزه آنذاك مثل هؤلاء العلماء ونفخو فيه من روحهم، وأمدوه بطاقات دفعته إلى الأمام، ص٥٦.

(٢) نفسه، ص٥٤، ٥٦.

بلا تحيز لحكم مسبق، وتقول: «وهكذا حل محل التقصّي الموضوعي للمعلومات النيْل من العرب هجومًا وتجريحًا، وإلصاق أحكام ظالمة مسبقة بهم، رسخت على مر القرون وأصبحت لها صلاحية البدهيات المسلّم بها!»[١].

ثانيًا: موقف فريد هاليداي، وسنعرض له بإيجاز فيما يلي:

(١) خرافة مفهوم الخطر الإسلامي:

إن هذا العنوان مقتبس من كتاب عالم السياسة البريطاني فريد هاليداي؛ **إذْ ما دمنا** قد عرضنا لآراء الدكتورة هونكه باعتبارها من القلائل الذين وقفوا في وجه (الإسلاموفوبيا)، ومعارضتها بالمنطق والأدلة العقلية المستمدّة من تاريخ العلم والعلاقة بين دول الغرب والبلاد الإسلامية بالمنهج المقارن، فلا بد أن نعرض أيضًا لآراء هذا العالم وهو أستاذ (العلاقات الدولية) في مدرسة لندن للاقتصاديات.

وقد أصدر كتابًا بعنوان (**الإسلام وخرافة المواجهة -الدين والسياسة في الشرق الأوسط**)[٢].

ناقش فيه قضية (الخطر الإسلامي) المزعوم.. وقد بدأ مناقشة القضية كمنهج علمي، فوصف هذا الخطر بأنه (مزعوم) أي ليس له أساس من الصحة يستند إليه[٣]!

---

(١) نفسه، ص٢٦.

(٢) ونرى إن كلاً منهما يكمل الآخر، فبينما تعلل هونكه إشعال نار الكراهية والبغضاء بسبب الصدمة النفسية من جراء اكتشاف الغرب أثناء الحروب الصليبية بأن الذين وصفوهم بأنهم أوغاد وسفلة، إنما هم أرقى منهم وأرجح فكرًا، ومنهج فريد هاليداي -كعالم سياسة- استند إلى مقارنات واقعية من التاريخ والعصر الحديث بين الغرب والعالم الإسلامي ليثبت في النهاية أن مفهوم الخطر الإسلامي «خرافة» لا أصل لها تستند إليه وفق الدراسة الموضوعية العلمية، بل إن العكس هو الصحيح؛ إذ ربما كانت الخطورة على العالم الإسلامي لا على دول الغرب!

(٣) وقد حدّد منهجه في البحث بقوله: «.. والإسلام باعتباره دينًا يعتنق بعض المبادئ الواضحة، يقدّم كنسق من الإيمان بما فوق الطبيعة، وما يرتبط بذلك من مسائل الأخلاق والقَدَر والغاية، وتلك مسألة تهم المؤمنين واللاهوتيين، وليست موضوعًا للفصول التالية، فالحق أنني لست مؤهلاً لمناقشة الإسلام بهذا المعنى اللاهوتي... ولكن باعتباره دينًا وباعتباره ظاهرة سياسية في آن واحد..»، ص٩، ١٠ المقدمة، كتابه (الإسلام وخرافة المواجهة- الدين والسياسة في الشرق الأوسط) ترجمة: محمد مستجير، ط مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م.

وأخذ يستعرض التاريخ، فتبين أن النزاع بين الحركات الإسلامية والغرب ظلت مستمرة منذ ما يقرب من ألف وأربعمائة عام، مشيراً بذلك إلى المشاعر المعادية للمسلمين مع الهجوم العثماني في القرن السابع عشر، والحروب الصليبية، مستنداً في ذلك إلى واحدة من أشهر المجادلات ضد الإسلام؛ إذ أعلن أرنست رينان عالم اللغة والمستشرق الفرنسي في عام ١٨٨٣ أن من الضروري للروح «الآرية» العقلانية العلمية أن تقهر عقلية الإسلام «السامية» غير «العقلانية»[(١)].

وفي العصر الحديث، ومع انتهاء الحرب الباردة بدأنا نسمع كثيراً من الساسة يعلنون أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه الآن خطر القتالية الإسلامية.. وفي عام ١٩٩٠ ربط دان كويل نائب الرئيس الأمريكي في خطاب له أمام تلاميذ أكاديمية أنا بوليس التجربة الأصولية الإسلامية بالنازية والشيوعية. وأعلن بات بوكانان المرشح الجمهوري اليميني في الحملة الرئاسية عام ١٩٩١: «طيلة ألف عام دار الصراع حول مصير البشرية بين المسيحية والإسلام، وقد يكون الأمر كذلك ثانية في القرن الحادي والعشرين».

وقد قام أستاذنا الدكتور محمد علي أبو ريان -رحمه الله تعالى- بالرد على رينان وأمثاله من دعاة النظرة العنصرية البغيضة، وقد استند على الأسس التالية وأثبت بطلانها من جذورها:

- أولاً: إن الردود العلمية الحاسمة على دعاة النظرة العنصرية كان لها أثرها في دحض آرائهم التي أخذت في التلاشي تدريجيًا منذ أوائل القرن العشرين، وساعد على ذلك يقظة الشعوب السامية التي كانت خاضعة للاستعمار وأخذها بجميع وسائل

---

(١) نفسه، ص٢١٠. هذا وقد قوبلت هذه النظرة العنصرية البغيضة بالمعارضة الشديدة، وأثبتت بطلانها وأن لا أصل لها من سند علمي أو تاريخي.

د. محمد علي أبو ريان (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام)، ج١ ص١٨/ ٢١ باختصار، ط دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠م.

المدنية الحديثة، وظهور أدباء وعلماء وفلاسفة من بينها، الأمر الذي يكذب دعوى التحجر الجنسي وانطواء كل جنس على قدرات ثابتة لا تتغير مع الزمن.

- **ثانيًا:** أثبت علماء البيولوجيا بالأدلة العلمية بطلان الدعوى العنصرية، وإمكان وجود جنس نقي ذي خصائص ثابتة عبر التاريخ.

- **ثالثًا:** الواقع أن حضارة من يسمون بالآريين قد أسهم فيها غيرهم كما يؤكد علماء الأنساب. ثم إن الأصل في هذا التصنيف الجنسي يرجع إلى علماء اللغات.. فكيف يمكن أن ينطبق التصنيف على السلالات والأجناس؟! وحتى إن كانت صحيحة فلماذا يشتد الهجوم على فرع واحد من الساميين وهم العرب، وعلى الدين الإسلامي وحده، ويُغفِل عن عَمد أمر اليهود ودينهم وتراثهم، وهم أيضًا ساميون؟!

- **رابعًا:** أدرك المستشرق دوجا مدى ما وقع فيه رينان من تناقض، فقد عثر على نص لهذا الأخير يثبت فيه أن المسلمين عارضوا أرسطو... وقد دافع دوجا عن الفلسفة الإسلامية، وذكر أن عقلية كعقلية ابن سينا لا يمكن إلا أن تنتج جديدًا وطريفًا في ميدان الفكر. وأن آراء المعتزلة والأشاعرة ليست سوى ثمار يانعة من آثار العقل العربي.

«دراسة مقارنة لتصحيح المفاهيم»:

(٢) ظاهرة الإرهاب:

يرى فريد هاليداي أن هناك قدرًا كبيرًا من التشوش في مناقشة الإرهاب، وهو من المسائل التي ترتبط بكل واسع في ذهن الجمهور الغربي بالشرق الأوسط[١].

وإذا أخذنا (الإرهاب) باعتباره فعلاً إرهابيًا تقوم به مجموعة سياسية مدنية ضد مدنيين غير مقاتلين، فإن الظاهرة ليست بأي حال خاصة بالشرق الأوسط.

(١) فريدها ليداي (الإسلام وخرافة المواجهة- الدين والسياسة في الشرق الأوسط)، ص٤٤.

فقد وجدت أعمال إرهابية من هذا النوع طيلة جانب كبير من التاريخ المدون، وكانت جزءاً أساسيًا في كثير من البلدان والحضارات في القرن العشرين.

ولم يأت الإرهابيون الأول في السياسة الحديثة من الشرق الأوسط، بل كانوا من الفوضويين الروس، والجمهوريين الأيرلنديين والقرميين الأرمن، والبنغاليين (الهندوس)، ليأتي بعدهم اليهود الصهيونيون والقبارصة الأتراك وغيرهم في فترة ما بعد عام ١٩٤٥، ولم ينشأ الإرهاب السياسي الحديث في الشرق الأوسط، أو بين المسلمين، ولا كان الطابع الأغلب للقائمين به من هؤلاء[١].

والعالم الإسلامي ليس وحده بأي حال مسئولاً عن الإرهاب، وفي الآونة الأخيرة كان هناك الكثير من الإرهاب -ولا إسلام- في أيرلندا الشمالية أو إيوزكادي أو سري لانكا.. وقد ظل السجل المقارن للمجتمعات الإسلامية أفضل في عديد من النواحي من كل منافسيها «وعلى أي حال لم يكن العالم الإسلامي هو الذي نظم مذبحة اليهود في الحرب العالمية الثانية، ولا هو الذي طرد السيفارديم من إسبانيا. وفي كثير من البلدان اليوم نجد أن المسلمين هم ضحايا القمع والإرهاب، في بورما وكشمير وفلسطين، وفي الآونة الأخيرة في البوسنة، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن المسلمين المناضلين هم وحدهم المسئولون عن هذه الأزمات إن كانوا مسئولين أصلاً!»[٢].

أضف إلى ذلك أن العداء للإسلام اتخذ طابعًا عنصريًا في البلدان الأوربية -وفي فرنسا في المقام الأول- أكثر صراحة.

أما في الولايات المتحدة -حيث لا يمثل المسلمون جماعة مهاجرة ملحوظة- فإن البلاغيات المعادية للمسلمين عامل مهم في الخطاب السياسي، وفي الهند كان هذا العداء هو ركيزة اليمين الشوفيني الهندوسي[٣].

---

(١) نفسه، ص٤٥.

(٢) نفسه، ص١٣٤.

(٣) نفسه، ص ١٨٩. هذا، ويقول مؤلف كتاب (ماذا لو لم يظهر الإسلام؟!) (في تركيز الغرب على الارهاب تحت اسم الاسلام، أمر يدل على ضعف الذاكرة، فقد استعمل رجال العصابات اليهود الارهاب ضد الإنجليز في فلسطين، كما استعمل نمور التاميل من الهندوس في سريلانكا الإرهاب، وابتكروا فن الأحزمة الانتحارية، ولجأ الإرهابيون اليونانيون إلى عمليات الاغتيال ضد المسئولين الأمريكيين في أثينا، وكان الإرهابيون المقدونيون يثيرون الرعب في كل البلقان عشية الحرب العالمية الأولى، والقائمة طويلة ومرتكب الإرهاب إذن لا يحتاج أن يكون مسلماً) ص٢٠٩ من الكتاب لمؤلفه جرهام فولر، كتاب رقم ٢٤ من كتاب (ثلاثون كتاباً في كتاب) بقلم: بدر محمد بدر - مصدر سابق.

ويذهب هاليداي إلى أبعد من ذلك فيقرّر أن مفهوم الخطر (الإسلامي) هو ذاته خرافة، والحديث عن نزاع مستمر عبر تاريخي بين العالم (الإسلامي) والعالم الغربي هراء، وأدلته على ذلك أنه من الجانب الإسلامي، من الحماقة أن نرى البلدان الإسلامية وكأنها بمعنًى تهدد الغرب، فقد اختفى منذ أمد طويل الخطر العسكري الذي تثيره قوات إسلامية موحدة (في ظل الإمبراطورية العثمانية) . . ومجموع قوى العالم الإسلامي اليوم تقل كثيراً عن الغرب، حتى لو افترضنا (وهو ما يكاد يكون مستحيلاً) أن مختلف البلدان قد شكلت تحالفًا للعمل الموحد. . . والواقع أن البلدان الإسلامية في أحيان كثيرة حاربت بعضها بعضًا[1] . .

وبالطبع فإن بلداً إسلاميًا يمتلك سلاحًا نوويًا يمكن أن يسبب كثيراً من الدمار، وشأنه في ذلك شأن الصين أو إسرائيل، لكن أي استخدام كهذا سيكون قليلاً بالمقارنة بما يمكن لخصومه أن يلحقوه به.

فضلاً عن ذلك فإن هناك أكثر من خمسين دولة مسلمة في العالم، متنوعة النظم القانونية والسياسية، وليس هناك جهاز واحد -سياسي أو ديني- يتحدث باسم العالم الإسلامي في مجموعه[2].

وهاليداي محق تمامًا بإنكار (الخطر الإسلامي) . . . فأين هذا الخطر المزعوم؟ إنه حقًا خرافة؛ إذ منذ نحو قرنين من الزمان والبلاد العربية والإسلامية كانت نهبًا للاستعمار الغربي بكل ضراوته وبطشه وإرهابه. . وحتى العصر الحديث فإن الحروب تقع في بلادهم أيضًا. . حرب الخليج ١٩٩٠- ١٩٩١، وحرب الأفغان ٢٠٠١، وهزيمة المصريين والعرب عام ١٩٦٧، وأحداث البوسنة والهرسك وكوسوفو، واستعمار فلسطين منذ ١٩٤٨م.

يقول الأستاذ طارق البشري: «وحتى مصر التي استردت من الإسرائيليين سيناء باتفاقية عام ١٩٧٩ لا تزال تعاني من آثار احتلال ٥ يونيو عام ١٩٦٧- أن تمتد حمايتها العسكرية بإرادة طليقة على أرض سيناء، وهذا وجه احتلال لا يزال

(١) نفسه، ص١٣٤، ١٣٥.

(٢) نفسه، ص١٦٨.

قائمًا . . . ونحن الآن لا ينبغي أن نتوهم أن استقلالاً لنا تحقق ما بقيت إسرائيل (القاعدة العسكرية، الدولة) المهددة لحدودنا ومجتمعنا ودولنا . . لقد حطمت إسرائيل المفاعل النووي العراقي في أواخر السبعينيات لأنه يهددها . . وسلاحها النووي يهدد مصر، وقد خاضت أربع حروب ضدها في مدى نصف القرن الأخير، وهي دولة استيطانية تعتمد على التوسع والعدوان . . **وما زالت المخاطر محدقة بنا**»[1].

٣- الإرهاب الإسرائيلي:

رأينا كيف كانت دراسة فريد هاليداي للإرهاب شاملة بصفة عامة تاريخيًّا وفي العصر الحديث، وقد عني بالإرهاب الإسرائيلي خاصة، متتبعًا نشأة الدولة وتاريخها وأشخاص حكآمها وزعمائها . . مع التوسع في وصف بعض الأعمال الإرهابية[2].

وبدأ بحركة استيطان الصهيونيين لفلسطين بالهجرة الأولى -في سبعينيات القرن التاسع عشر، وبحلول الحرب العالمية الأولى كانت هناك جالية يهودية كبيرة -وإنْ ظلت أقلية في فلسطين.

وغيرت الحرب العالمية بصورة درامية الظروف التي يجري فيها هذا الاستيطان، فقد أعطت لبريطانيا سلطة إدارية اتضح موقفها المشجّع لهذا الاستيطان كسياسة في وعد بلفور ١٩١٧ الذي وعد اليهود (بوطن قومي) في فلسطين . . واستمرت الهجرات اليهودية الكبيرة إلى فلسطين فيما بين الحربين، وبحلول نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الجالية اليهودية هناك من القوة بحيث تطالب بدولة مستقلة وتقيمها[3].

---

(١) طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان)، ص١٣، ١٩، ١٨، ١١١ باختصار شديد، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

(٢) (حملة إبادة ممنهجة قام بها المؤسسون عام ١٩٤٨م من البلماح والأرجون والشيترن وغيرهم من العصابات القتالية الصهيونية التي افتعلت المذابح وهجّرت أهل القرى ممهدة لإعلان دولة إسرائيل) ص٤١.
المصدر د. ناصر بن سليمان العمر (لغة الأرقام التي يتجاهلها المنافقون وأشباههم) البيان، العدد ٣٢٧ ذو القعدة ١٤٣٥هـ- سبتمبر ٢٠١٤م.

(٣) نفسه، ص٣٣.

وقامت إنجلترا بفتح الباب أمام المستوطنين الجدد في فلسطين (مع إغلاق باب بريطانيا ذاتها أمامهم) بينما ادّعت كذبًا النزاهة بين القوميتين الفلسطينية واليهودية!

ولكن أغفل هاليداي صفة إسرائيل كدولة استعمارية؛ حيث التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاءً تاريخيًّا على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة.. فكانت بريطانيا هي التي خلقت الوطن القومي منذ الحرب العالمية الأولى بفتحها باب الهجرة ليبدأ تغلغل حقيقي خلق جسمًا خطيرًا من أقلية يهودية كبيرة، وكانت مرحلة دموية في شكل حرب عصابات شجعتها بريطانيا بالسلاح، بينما قضت على الثورة الفلسطينية المقاومة بالقوة.. وخلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية منذ الحرب الثانية[1].

وقد أُقيمت إسرائيل منذ تأسيسها بواسطة العصابات الإرهابية، وظل الإرهاب طابعها الصارخ حتى بعد إقامة الدولة الصهيونية، وتعبّر عنه المذبحة على يد الإرهابي الإسرائيلي جولد شتاين في فبراير ١٩٩٤م الذي قتل تسعة وعشرين مسلمًا أثناء صلاتهم في مسجد الخليل[2].

ويحوي مشروع الحركة الصهيونية ذاته إبعاد السكان العرب المحليين.. وأصبح الشعار الأكبر المعادي صراحة للعرب وللمسلمين -وخاصة بين مستوطني الضفة الغربية- مستمدأ من الآيات ٥-٩ من المزمور ١٤٩ ونصه: «تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم، ليضعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد»[3].

غير أن أكثر اتجاهات معاداة العرب تطرفًا يتمثل في حركة الحاخام كاهانا وحركته (كاخ) التي شغلت مكانًا قتاليًّا عنيفًا في السياسة الإسرائيلية منذ أوائل السبعينيات، وقد دعا إلى قراءة قتالية للتلمود.. ودعوته إلى إبعاد كل العرب بالقوة عن إسرائيل... وكانت بلاغياته واضحة وحاقدة ومنذرة «العرب سرطان وسطنا، ومن أقواله: دعوني

(١) جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، ص١٦٨، ١٦٩.

(٢) هاليداي (الإسلام وخرافة المواجهة)، ص٢٢٢.

(٣) نفسه، ص٢٢٨.

أكون وزيراً للدفاع شهرين ولن تجدوا صرصاراً واحداً هنا! إنني أعدكم بأرض إسرائيل نظيفة! أعطوني السلطة لكي أتعامل معهم»[1].

ولم يفت هاليداي وهو يتتبع السجل الأسود لهذا الإرهاب، لم يفته عقد مقارنة تعبّر عن سماحة الإسلام في معاملة اليهود، فقال: «وسجل الدول الإسلامية تجاه اليهود هو -في مجموعه- أفضل من سجل الدول المسيحية، وكان هذا أوضح ما يكون في تقبل أعداد كبيرة من السفارديك الذين طردوا من إسبانيا»![2]

هذا، بينما (الصهيونية) تعتبر عنصراً رئيسًا في المؤامرة المعادية للإسلام، وقد أقيمت إسرائيل بهدف نزع ملكية المسلمين وقهرهم.. ويصوّر ساستها العرب بأنهم العماليق في الكتاب المقدس الذي يأمر بإبادتهم!

وبعد، فإن ما يعنينا من كلّ ما تقدم، أن هاليداي استقرأ من دراسته الموسّعة أن قضية (الخطر الإسلامي) المزعوم هي من قضايا (العلاقات الدولية) التي وُلدت من الخرافات، وكاد يصرّح بأن الخطورة هي على العالم الإسلامي لا على الغرب؛ لذلك اختار عنوان الفصل الرابع [خطر الإسلام -أم- خطر على الإسلام؟!][3].

ولكن فات هاليداي- بالرغم من اطلاعه على تاريخ المسلمين فاته تعميم السماحة الإسلامية إذْ شملت اليهود وغيرهم من الأديان، فقد ذكر المؤرخ أرنولدان العرب وجدوا ترحيبًا من نصارى الشام وكتبوا لهم (يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم- وإن كانوا على ديننا- أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غالبونا على أمرنا وعلى منازلنا)[4].

●●●

(١) نفسه، ص٢٢٧.

(٢) نفسه، ص٢٢٣.

(٣) نفسه، ص, ١٢٨

(٤) ت. أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص٥٧ ترجمة حسن إبراهيم وزميليه.

الفصل العاشر

الصلة العضوية بين الاستعمار الغربي والدولة الصهيونية

يقرّر الدكتور جمال حمدان بكتابه (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) أن محور الصراع وبؤرة الحرب ومعقل الإمبريالية في العالم العربي بدوره إنما هي القاعدة الاستعمارية الصهيونية[1].

وقد كانت هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ هي بلا شك قمة الزحف الاستعماري في العالم الثالث كله سعى إليها بالتدريج من أطرافه حتى وصل إلى قلبه.

كذلك يعتقد أن مصير إسرائيل الصهيونية سيحدّد في نهاية المطاف مصير الإمبريالية العالمية، فما دامت إسرائيل باقية، فإن الإمبريالية ستظل مقيمة في العالم الثالث[2].

أما عن صلتها بالإرهاب، فيقول مؤلف كتاب (**دولة الإرهاب: كيف قامت دولة إسرائيل الحديثة على الإرهاب**) يقول بالحرف الواحد: «قامت الدولة الصهيونية بعد ارتكاب سلسلة من الجرائم البشعة التي ارتكبها اليهود»[3].

أما عن تكوين إسرائيل فقد تمّ عن طريق التغلغل بالتسلل والتسرب حتى ما قبل الحرب الأولى، ثم فتح الانتداب الإنجليزي الباب للهجرة؛ ليبدأ تغلغل حقيقي خلق جسمًا خطيراً من أقلية يهودية.. وقد اتسمت هذه المرحلة بالدموية في شكل حرب

(١)، (٢) د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، ص٣٨٠ كتاب (الهلال)- العدد ٥٧٨، فبراير ١٩٩٩م.

(٣) توماس سواريز (دولة الإرهاب: كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب؟)، ص٣١٧ ترجمة: محمد عصفور -سلسلة عالم المعرفة- الكويت، مايو ٢٠١٨م.

يقول الأستاذ طارق البشري: «إن ما حدث في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمثّل جريمة، وهي بتعبير رجال القانون تعتبر جريمة مستمرة، ومن ارتكبها ويرتكبها هو الولايات المتحدة الأمريكية، والأمر كما نعلم جميعًا لا يتعلق بفلسطين وشعبها وأرضها فقط، ولكنه يتعلق بكل العرب.

إن الولايات المتحدة التي عايشنا عداءها في فلسطين نصف القرن الماضي، هي من نواجه الآن في بلاد الأفغان، وهي من تقيم القواعد العسكرية حولنا في الخليج العربي، وهي من يحاصر البلاد ويشن سلاح المقاطعة. ونحن نعرف من ممارسات الحكومات الأمريكية خصائص في الفعل السياسي لا يجوز أن يغيب عن الناس... وإن ما تصنعه إسرائيل في عرب فلسطين، سبقتها فيه السياسة الأمريكية بالنسبة للسكان الأصليين في أمريكا منذ مئات السنين». طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان)، ص٣٥، ط مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

عصابات يهودية شجّعها الانتداب الإنجليزي بالسلاح، في وجه مقاومة عربية ثورية، قاومها الانتداب بالقوة.. ثم تم الاغتصاب الشامل بعد انسحاب الانتداب -متواطئًا- في عام ١٩٤٨ عن طريق حرب ضد العرب.. وقد اعتبرت إسرائيل نفسها منذ ذلك الوقت (إسرائيل الصغرى) فقط، على أساس أن هدفها المعلن هو (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات.

ويقول الدكتور جمال حمدان: «تلك هي الحقائق الأولية البحتة في قيام ووجود إسرائيل، منها يمكن للجغرافي السياسي أن يحدّد في إطار موضوعية العلم المطلقة التشخيصات والنتائج الآتية..»[(١)]، وتتلخص في:

أولاً: إسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفه، فهي قد قامت على اغتصاب غزاة أجانب لأرض لا علاقة لهم بها دينيًّا أو تاريخيًّا أو جنسيًّا، وإن زعموا عكس ذلك تمامًا ودومًا.

ثانيًا: إسرائيل استعمار طائفي بحت، والدولة دولة دينية صرفة.

ثالثًا: إسرائيل استعمار عنصري مطلق.. تأخذ صورة مليونين من البيض وسط بحر من (الملونين) العرب.. وهي عنصرية بيضاء وسط بحر من (الملونين) العرب.. وهي عنصرية بيضاء نازية -بالدقة، فهي تعد نفسها (الشعب المختار) على غرار (ألمانيا فوق الجميع) أيام الهتلرية[(٢)].

وبالإضافة إلى ذلك اخترقت الحركة الصهيونية جدار الكنسية في الغرب، وأقنعت النصارى هناك بأن المسيح -عليه السلام- لن يعود عودته الثانية حتى مقام اليهود دولة على أرض فلسطين، (وهي دعوى باطلة لا أساس لها من دين أو تاريخ أو منطق)[(٣)].

هذا وتتّضح لمن يراقب عن كثَب ما تفعله الدولة الصهيونية بأهل فلسطين من أعمال

(١) نفسه، ص١٦٩.

(٢) نفسه، من ص١٦٩-١٧١ باختصار.

(٣) د. زغلول النجار (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين)، ص١٦٠، ط٥، نهضة مصر ٢٠٠٧م.

إرهابية، يتضح له أنها تكاد تتطابق مع مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس بالمسلمين هناك[1]، ذلك أن (فلسطين) كوطن إسلامي -عربي قد انتزع من أهله وأصحابه، تحت سمع العالم وبصره، وبتآمر مستمر تواطأت فيه أكثر من دولة من دول الغرب، وفي مقدمتها إنجلترا وأمريكا مستغلّة حالة التقهقر النفسي والحضاري التي عصفت بالأمة الإسلامية، أو التي عملت تلك الدول على بذرها وزرعها في العقول والقلوب من غزو ثقافي مكثف، فمهّدت للغزو العسكري بالزعزعة من الداخل.

لذلك أصبح شُغل العرب والمسلمين القضية الفلسطينية وجعلوها محور الصراع، ولكن لا ينبغي نسيان أيضًا النزاعات التي قامت أو تقوم به الدول الاستعمارية في (كشمير) و (قبرص) و (أفغانستان) و (الصومال) و (أريتريا) والصحراء الغربية والبوسنة والهرسك.. إلخ.. (ومع كلّ تلك الصراعات والنزاعات تتجدّد (محاكم التفتيش) بكل حقدها ومرارتها وفظاعتها، وليلها الدّامس الطويل»[2].

وهل يشك كلّ ذي نظر صائب، وصاحب ضمير حي أن ذلك كله يشكّل **إرهابًا بشاعته وفظاعته؟**

هذا، وقد ظلت بواعث الحروب الصليبية مستمرة حتى عصرنا، للانقضاض على بلاد المسلمين من جديد واستعماره واستعباد أهله؛ لأن دول أوربا لم تنس بعد مرارة هزيمتها سابقًا فجاءت بكل ما تحمله في نفسها من حقد ومرارة لإزالة الإسلام من الوجود.

والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما قام به قائد الجيش الفرنسي (غورد) بدمشق، إذ دخل قبر (صلاح الدين) ووقف ينظر ويستعيد ذكريات التاريخ، ثم ركل القبر برجله

---

(١) ويقول روجيه دوباسكويه: «أمّا ما يحدث للمسلمين في فلسطين فهو الأمر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، إلاّ ما فعل المستعمرون بالهنود الحمر في أمريكا» كتابه (إظهار الإسلام)، ص١٠٦ مطابع الشروق، القاهرة، بيروت ١٩٩٤م.

(٢) محمد علي قطب (مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس)، ص٦ ط مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

المصدر: كارين أرمسترونغ (القدس- مدينة واحدة عقائد ثلاث)، ص٤٥٣، ترجمة: د. فاطمة نصر- د. محمد عناني، مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

وقال: «لقد عدنا يا صلاح الدين» وكأنه يقول: لم تنته الحروب الصليبية، وها نحن في حملة جديدة[1].

وأساليب الصهاينة مع الفلسطينيين، وما فعله الصليبيون بالمسلمين في مدينة القدس أثناء الحروب تكاد تتشابه مع مذابح محاكم التفتيش في إسبانيا[2].

إنها كلها تسير على وتيرة واحدة وتنبعث من حقد دفين؛ إذْ يشهد التاريخ بالفظائع التي ارتكبها الإسبان بالمسلمين، بقيادة (فرديناند) و إيزابيلا- اللذيْن قاما بحملة اضطهاد وحشية، مستخدمين كل ألوان العذاب كي يخرجوهم من دينهم وبمباركة (البابا)[3].

واستمرت سلسلة الاضطهادات للمسلمين بلا انقطاع وفق مرسوم أصدره فرديناند.. منها إلزامهم بالسجود في الطرقات إذا ما مرّ أمامهم حبر كبير.. وأن لا يجهروا بشعائرهم إذا أقاموها، وأن يغلقوا مساجدهم[4].

أما طرق التعذيب فتعدّدت أساليبها.. ألوف وألوف من المسلمين يبادون ذبحًا وشنقًا وحرقًا في حفر من النار المشتعلة، وحرقًا في الأفران، وتقطيع الأوصال بالسيوف والخناجر، والشد البطيء على العجلات، والشّد إلى الخيل التي تساق في اتجاهات مضادة لتمزيق الأرجل والأبدان وفصل أجزائها بعضها عن بعض!!!

إنها في مجملها تنطق بمأساة إنسانية، ومجزرة جماعية عالمية، راح ضحيتها الملايين ما عرف التاريخ لها مثيلاً[5]!

---

(١) نفسه، ص١٤٢ يُضاف إليه ما صرّح به (بوش) عند غزو أفغانستان.

(٢) ولمدة ثلاثة أيام قام الصليبيون بانتظام بذبح ما يقرب من ثلاثين ألفًا من سكان المدنية، طبقًا لما رواه مؤلف (أعمال الفرنجة).. وتدفقت الدماء في الشوارع حقيقة لا مجازاً.. وكان بالإمكان رؤية أكوام الرؤوس والأيدي والأرجل.

(٣) نفسه، ص٤٣.

(٤) نفسه، ص٥٣.

(٥) نفسه، ص١٣٣.

وهنا، لنا وقفة ضرورية لبيان مدى الزيف التي تحمله لافتة (الإسلاموفوبيا)، ونشر هذا القدر الهائل من الكراهية للإسلام والمسلمين بلا مبرّر، ويتضح ذلك بالمقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغربية مدى الفارق الشاسع -بل النقيض- بينهما في التعامل مع الشعوب باختلاف الأديان. . . فمقابل التسامح الذي اتسمت به الدولة العثمانية التي سادت كدولة عظمى لقرابة السبعة قرون (من أوائل القرن الثالث أي من عام ١٢٥٨م إلى عام ١٩٢٤م). . فقد كانت متعددة الأعراق والأديان، وكان كل مجتمع ديني فيها يتمتع بجميع حقوقه ويهيكل الحكم الذي يرتضيه. . وذلك على النقيض تمامًا من تجربة المسلمين مع الغرب؛ إذ على أثر انتزاع دول البلقان من الدولة العثمانية مثل ألبانيا، والبوسنة والهرسك وكوسوفا، ومقدونيا والشيشان وأذربيجان، عانى فيها المسلمون من ويلات الاضطهاد الديني ما لا يمكن وصفه، ولا يزالون يعانون إلى اليوم[1].

أضف إلى ذلك ما حدث للمسلمين في إسبانيا بعد سقوطها في أيدي النصارى، وفي فلسطين المحتلة بعد اغتصابها من قبل الصهاينة. . وباختصار إنه تاريخ طويل مليء بالدماء والأشلاء والمظالم والاضطهاد.

ويقول الدكتور زغلول النجار أيضًا: «كذلك تعاملت تركيا مع عدد من الدول الغربية لصد مظالم المعتدين في أخوة إنسانية معلنة بعيدة عن معاني التعصب الديني الضيق، فقد تعاونت مع فرنسا في مرحلة من المراحل ضد طغيان أسرة (هابسبرج)، كما تعاونت مع بريطانيا ضد التحديات الروسية[2]!

●●●

(١) د. زغلول النجار (الإسلام في كتابات الغربيين)، ص٧٧، ط٥، نهضة مصر، ٢٠٠٧م.

(٢) نفسه، ص٧٨ وقتل الجيش الروسي عشرين ألف شيشاني مسلم، كما قتل سبعة آلاف وفقد خمسة آلاف من المسلمين على يد ميلوسوفيتش.

الفصل الحادي عشر

الاستعمار -أصل الإرهاب- صناعة أوربية

الاستعمار -وهو أصل الإرهاب- صناعة أوربية وأتى بالموت المباشر وغير المباشر:

سيتضح لنا من دراسة تاريخ الاستعمار أنه صناعة أوربية فرضت به سيطرتها على الدول الضعيفة بالقوة، وقد تأسّس على التمييز العنصري وإرهاب الشعوب وقهرها، مع احتلال أراضيها ونهب ثرواتها، وهو ذو صبغة عدوانية دموية، فقد أزهق الاستعمار الأوروبى بدوله المختلفة (بريطانيا- فرنسا- بلجيكا- هولندا- وأخيراً أمريكا) أزهق أرواح الملايين (انظر صفحة ١١٧).

ويرى الدكتور جمال حمدان أنه بالرغم من أن الاستعمار كان يمثّل نظامًا واحدًا في النهاية، فقد كان يطفح بالصراعات الداخلية والتوترات الكامنة. . «وعلى التتابع التاريخي يمكن أن نقول: إن كلاً من فرنسا وبريطانيا كانت تطارد كلاً من إيطاليا وألمانيا وراء البحار، وكانت بريطانيا تطارد الجميع، إلى أن جاءت الولايات المتحدة محاولة أن ترث الكل في صورة جديدة»[١].

وسنقتصر على تلخيص الصراع بين فرنسا وبريطانيا باعتبارهما يمثلان (الاستعمار القديم)، ثم دور الولايات المتحدة الاستعماري الذي أطلق عليه اسم الاستعمار الجديد[*].

كوّنت فرنسا إمبراطورية استعمارية كبرى خلال العصور الحديثة. . . ولكن قوة بريطانيا البحرية جعلتها تحتل مكان الصدارة[٢]، وظل الصراع قائمًا بين فرنسا وإنجلترا ووصل إلى أعلى مستوى مع نابليون الذي فشلت كل مشاريعه البحرية ضد بريطانيا سواء في مصر أو في غزو بريطانيا. فقد خسر أسطوله في أبي قير في الأولى وفي الطرف الأغر في الثانية، وتعد هذه المعركة بداية السيطرة العالمية المطلقة لقوة البحر

---

(١) د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، ص٢٩٢، ٢٩٣. كتاب الهلال فبراير ١٩٩٩م.

(*) ولكنه حافظ على طابع الاستعمار القديم البربري، ويظهر ذلك جليًا في الحملة العسكرية على أفغانستان، من حيث دك المدن وتدمير المساجد وقتل النساء والأطفال وقتل الأسرى في جانجي وقندور وكابول وقندهار بالقنابل (الذكية) التي تجاوزت الواحدة منها سبعة أطنان، ويضاف إلى ذلك استئناف الحروب الصليبية كما ورد على لسان بوش الابن الذي تبنى عقيدة اليمين المسيحي، وجوهرها معركة «هرمجدون» التي سيعود بعدها المسيح عليه السلام مرة ثانية حسب ظنّه!

(٢) د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، ص٨٥.

البريطانية التي ستظل أكثر من قرن دون تحدٍّ، بل سيصبح القرن التاسع عشر بلا منافسة، قرن السيطرة البريطانية العالمية(١).

ووصل الاستعمار في آسيا أقصاه بواسطة هولندا التي استعمرت إندونيسيا ٣٥٠ سنة(٢)!!

وفي إفريقيا أخذ الاستعمار نمطًا خاصًا جدًا وهو الاستعمار الديموغرافي -أي تجارة الرقيق- وهو عصر النخاسة الذي لم يعرف العالم له مثيلاً من قبل ولا من بعد، وتلك كانت بالتالي أسود نقطة وأسبغ وصمة عاد في تاريخ الاستعمار العالمي. فقد كان الرقيق أغلى سلعة في التجارة الاستعمارية.. وعليه بنت القوى البحرية اقتصادها ورخاءها. وكان للبرتغال أولاً ثم الإنجليز بعدهم الدور الأكبر في هذه التجارة الآثمة، ولو أن الهولنديين والفرنسيين شاركوا بقدر(٣).

وتختلف تقديرات تجارة الرقيق من إفريقيا، ولكن البعض يُقدّرها بحوالي المائة مليون، على أساس أن من مات أثناء (الصيد) والرحلة ثلاثة أو أربعة أمثال ما وصل بالفعل إلى العالم الجديد.

ويقول الدكتور جمال حمدان: «وكان هذا الاستعمار -أو بالأحرى الاستغراب الديموغرافي - نزيفًا بشريًا رهيبًا أصاب القارة بفقر الدم والضمور»(٤).

أما تاريخ الاستعمار الأمريكي فيتلخص في أنها في الحرب العالمية الأولى تذبذبت نحو العزلة نوعًا فيما بين الحربين، إلى أن تجاذبتها من جديد الحرب العالمية الثانية(٥) التي وضعتها تمامًا في قلب دوّامة السياسة العالمية. وقد خرجت بريطانيا وفرنسا من

(١) نفسه، ص٩٧ وكان الصراع على أشدّه بين فرنسا وبريطانيا.. وقد حاول نابليون تأسيس إمبراطورية في المشرق لتكون مصر لؤلؤة الإمبراطورية الفرنسية في مقابل الهند لؤلؤة الإمبراطورية البريطانية كما قيل ص٨٥. وهذا هو التاريخ الصحيح لحملة نابليون على مصر، لا كما يصوّره ويزوّره المستغربون بأن غرضه كان الأخذ بيد مصر إلى طريق الحضارة!!

(٢) نفسه، ص٢٩١.

(٣) نفسه، ص١٠٣.

(٤) نفسه، ص١٠٤.

(٥) نفسه، ص٣٥٥.

الحرب منهوكتيْن من الصراع؛ مما مكن لثورة التحرير أن تنطلق في المستعمرات، وللولايات المتحدة أن تشارك في مطاردتهما منها حتى تستطيع أن تحل محلهما، إلى أن انتهت فترة ما بعد الحرب بانتقال بريطانيا وفرنسا كدول من دور النضج إلى دور الشيخوخة والانكماش(١).

ويصل من ذلك الدكتور جمال حمدان إلى نتيجة مفادها أن الإمبراطورية الأمريكية الجديدة لم ترث الإمبريالية البريطانية والفرنسية القديمة فحسب كما هو شائع، وإنما ورثت في الحقيقة الرأسماليات المتنحية: بريطانية وفرنسية وألمانية وإيطالية ويابانية.. إلخ، أي كل الرأسماليات الديمقراطية والدكتاتورية، الليبرالية والفاشية، وقوى دور النضج ودور الشباب على حد سواء(٢).

كما يصفها بأنها اليوم أكبر قلعة للاحتكارات والاستثمارات العالمية.. وأكبر قوة نووية في التاريخ.. ويفرّق بينها وبين الاستعمار (القديم) الذي كان يغطي -مهما تعاظم- جزءاً من هذا الكوكب، أما استعمارها (الجديد) فهو بمثابة أول إمبراطورية كوكبية في التاريخ؛ إذ يصفها المؤرخ توينبي أنها روما العصر، بينما يسجل أحد قادة الولايات نفسها: «أننا أصبحنا نقوم بالدور الذي كانت تقوم به الإمبراطورية البريطانية القديمة»(٣)... أما الاستعمار الروسي وما اقترفه -السّفاح الرهيب «ستالين» من جرائم بالمسلمين، والحروب التي شنّتها روسيا على الدولة العثمانية ودورها الإرهابي الآن في سوريا وليبيا، فإن كلّ ذلك يحتاج إلى (مجلّد) كامل، فقد كان الاستعمار الروسي أيضًا (استعماراً إمبرياليًا -كاملاً بكل معنى الكلمة، وبسبب توسّعه في بلاد سكان أعلى كثافة وتركيب ديني (الإسلام شرق قزوين، والمسيحية غربه)؛ لهذا كان

---

(١) نفسه.. ولكن الاستعمار الأمريكي يغطّي أهدافه بشعارات مثالية كما فعل عند غزوة للعراق. يقول جون فرانكلين كيندي: «علينا ألا نخدع أنفسنا بأننا نستطيع تحمل رفاهية الإيثار والإحسان إلى العالم. فلنتوقف عن الحديث عن الأهداف الغامضة غير الواقعية مثل حقوق الإنسان ورفع مستوى المعيشة و«الدمقرطة»..

إن اليوم الذي سيكون علينا فيه التعامل بمفاهيم القوة المباشرة ليس ببعيد.

وكلما قل تعويض أنفسنا بالشعارات المثالية، كان ذلك أفضل» ص٢١، ٢٢ من كتاب (بوش ضد العراق... لماذا؟) ط سطور الأولى ٢٠٠٣م.

(٢) نفسه، ص٣٥٦.

(٣) نفسه، ص٣٥٨.

لا بد من القضاء على (الخانات) الإسلامية وقمع الحضارة المحلية والشعور القومي بالإرهاب. وتاريخ قياصرة آل روما نوف في هذا دموي ومعروف بما فيه الكفاية»[1].

وفي دراسة الدكتور جمال حمدان الموسوعية للاستعمار وبيان مراحله ودوره وطبيعته، يستخلص عدة نتائج، منها:

أولاً: كان الاستعمار في مرحلة الموجة الأولى يأخذ طابع الإبادة، ثم الاسترقاق، ثم استبدل بهذا الاستعمار السياسي وتحول مع الاستعمار الجديد فأصبح استعماراً اقتصادياً، «ولكن يظل الجميع على خط النسب المباشر الذي ينحدر من صراع الإبادة، ويظل الاستعمار في صميمه صراع أجناس وحركة عنصرية من الناب والظفر برهانها الوحيد»[2].

ثانيًا: كان الاستعمار في أوج بطشه يبرّر نفسه -متبجحًا- بنظريات القهر والتفوق العنصري، حتى إذا استشعر نهايته وطاردته عقدة الذنب بحث -منافقًا- عن التبرير في نظريات الإنسانية والأخوّة! أي تقنع بنقاب الرياء والزيف دون تغيير جلده.. فكانت النظريات والإنسانية والأبوّة.. مثل: عبء الرجل الأبيض ورسالة الحضارة[3].

ثالثًا: إن منطق التبرير السابق هو تبرير فج لا يبرر أكثر مما يبرّئ، ويظل الاستعمار وصمة في جبين المستعمر أكثر منه في جبين المستعمرات، وعار أوربا وحدها؛ لأن الاستعمار كله ما تم إلا على يدها وما تم إلا خارجها (باستثناء جبل طارق ومالطة وقبرص).. لقد كان الاستعمار -بوضوح- صناعة أوربية مسجلة ولكنها للتصدير لخارج أوربا فقط وغير قابلة للاستهلاك المحلي.. **ويظل في النهاية ظاهرة عنصرية بحتة.** ويكفي أن يتحدث بعض الكتاب الأوروبيين أنفسهم عن (السجل المأسوي القذر لعملية الأوْربة)، وعن (قصة الأوْربة التعسة)[4].

إن (قصة الأوربة التعسة) هي العنوان الصحيح لكل من أرّخ بمنهج علمي للدور الاستعماري البشع الذي بلغ الدرك الأسفل من العنصرية ممزوجة بالقهر والإرهاب.

---

(1) نفسه، ص١١٧.

(2) نفسه، ص١٥٠.

(3) نفسه، ص١٥١.

(4) نفسه، ص١٥٢.

يقول د. وارد تشرشل: «تميّز صراع (الغرب) من أجل الحفاظ على هيمنته الكوكبية من خلال أسلوب الاستعمار (الكلاسيكي) طوال نصف قرن الذي بدأ من منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، تميز بالأسلوب الضاري في القضاء على السكان (الآخرين) والتهامهم ابتداءً من الفترة من عامي ١٩٣٦ و١٩٣٩. كان البريطانيون روّاد استخدام أساليب القمع الوحشية ضد الثورة الفلسطينية وهي ذات الأساليب التي استخدمها الفرنسيون طوال العقود التالية في الهند الصينية والجزائر، واستخدمتها الولايات المتحدة فيما بعد في فيتنام، وفقد حوالي مليون هندي حياتهم فيما بين عامي ١٩٤٥-١٩٤٨. نجم عن محاولات الهولنديين إحباط استقلال إندونيسيا فيما بين عامي ١٩٤٦ و١٩٤٩ حوالي مائة ألف قتيل... وكان عدد ضحايا الاستعمار البلجيكي للكونغو الغني بالمعادن الثمينة- أكثر من مليون..»[1].

والتاريخ الاستعماري لفرنسا عبر العصور الماضية -بصفة خاصة مليء بكل ما هو مشين بما حفل به من الإبادة للمسلمين، فقد مارس الاحتلال الفرنسي حملات قتل وإبادة ونهب كثير من الدول: ففي عام ١٩٧٧، جمعت فرنسا ٤٠٠ عالم مسلم تشادي وقطعت رؤوسهم بالسواطير، أثناء احتلال تشاد.

وحينما دخلت فرنسا مدينة الجزائر أجرت ١٧ تجربة نووية في الجزائر في الفترة من (١٩٦٠-١٩٦٦).

وقد أسفرت تلك التجارب عن عدد ضخم من الضحايا يتراوح بين ٢٧ ألف أو أكثر وما زال آثارها إلى اليوم.. وحين خرجت فرنسا من الجزائر عام ١٩٦٢ كانت قد قامت بزرع عدد من الألغام أكثر من عدد جميع سكانها في ذلك الوقت؛ حيث قاموا بزرع ١١ مليون لغم أرضي.

وقد احتلت فرنسا الجزائر لمدة ١٣٢ عامًا؛ حيث أباد الفرنسيون مليون مسلم في أول سبع سنوات، ومليون ونصف المليون مسلم في آخر سبع سنوات قبل رحيلهم.

وقد احتلت فرنسا تونس لمدة ٥٧ عامًا، والمغرب لمدة ٤٤ عامًا، وموريتانيا ٦٠

(١) ستيفن شيهي (الإسلاموفوبيا: الحملة الأيدولوجية ضد المسلمين)، ص ٢٩، ٢٠١٢. ترجمة: د. فاطمة نصر، ط سطور الجديدة، كورنيش المعادي.

عامًا، ومالي ما يزيد على قرن، والسنغال ثلاثة قرون.. **إن تاريخ فرنسا يمتلئ بصور وحشية وهمجية في كل مكان وطأت فيه أقدام الفرنسيين**. وكانوا يقومون باصطياد البشر في صحاري بلاد الشمال الإفريقي، ويتفننون في طرق القتل وقطع الرؤوس، بل يتباهون بتصويرهم على طوابعهم التذكارية[1].

كذلك فإن تاريخ فرنسا الاستعماري لمصر ملطّخ بالعار ويطفح بالعديد من صور الإرهاب -أي إرهاب الدولة، وللقارئ بعض المشاهد الدالة على ذلك، منها: ما أصدره القائد برتييه من تعليمات للهجوم على الأزهر، وهي: «عليكم أن تهاجموا لفوركم معسكر الثائرين، وأن تضربوا الأزهر بالمدافع، ولتكن المدافع في أصلح موقع ليكون الضرب أشد أثرًا، بلّغوا الجنرال (دورماتان) أن يفعل مثل ذلك، وأن يستولي على مدخل الأزهر والمنازل الموصلة إليه، وعليكم أن تقتحموه بجنودكم تحت حماية المدافع، والقائد العام يأمر بأن تقتلوا كل من تلقونه في الشوارع المسلحة، وعليكم أن تعلنوا الأهالي بأن كل المنازل التي تلقى منها الحجارة تحرق حالاً بالنار.. وعليكم أن تقتلوا كل من في المسجد..»[2].

وقال الجبرتي: «إن الفرنسيس قتلوا من علماء مصر ثلاثة عشر عالمًا.. ودخلوا بخيولهم الجامع الأزهر.. وقتلوا فيه بعض العلماء.

ويقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي تحت عنوان: **[فظائع الفرنسيين في إخماد الثورة]**: «بلغ القتلى على أرجح الروايات أربعة آلاف.. وكان هم قواد فرنسا قمع الثورة بكل وسائلهم في الصرامة والإرهاب.. فالدماء سالت في شوارع العاصمة... وإذا تأملت في الفظائع التي ارتكبها الفرنسيون وجدتها أبعد ما تكون عن مقتضيات الحرب والقتال، ولهي أجدر أن تعتبر من ضروب التنكيل والانتقام.. وحسبك أن ترجع إلى ما رواه الجبرتي عن تلك الفظائع وبخاصة انتهاكهم حرمة الأزهر لتحكم أنها فوق ما توصف به من الفظاعة»[3].

---

(١) د. جمال سعد حاتم (حملات ممنهجة ضد الإسلام..)، ص١٢، ١٣ مجلة التوحيد ربيع آخر ١٤٤٢هـ.

(٢) عبد الرحمن الرافعي (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم)، ص٢٨٦، ٢٩٦ مكتبة الأسرة بمصر، ١٩٩٨م.

(٣) نفسه، ٢٩٠، ٢٩١. وبذلك فقد قدمنا للمستغربين أقوى الأدلة والبراهين القاطعة على انحراف مواقفهم بوصفهم الحملة الفرنسية بأنها كانت داعية للتنوير والتقدم!!!

وأرسل نابليون إلى الجنرال رينييه، قومندان الشرقية يقول: «.. وفي كل ليلة تقطع رؤوس نحو ثلاثين من الرجال وكثير من زعماء الأهالي».

ويعترف المؤلفون الفرنسيون بأن إعدام كثير من المتهمين في الثورة تم سرًا في القلعة من غير محاكمة.. ويعترف الفرنسيون في رسائلهم التي تبادلوها **بالفظائع التي ارتكبت في قمع الثورة**. كتب الجنرال برتييه في ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م إلى الجنرال دوجا يخبره بحوادث الثورة، قال: «لقد نكلنا بالثائرين في مذبحة رهيبة. وقد قتلنا منهم ألفين أو ثلاثة آلاف».

وأمر نابليون الجنرال برتييه بتاريخ ٢٣ أكتوبر أن يصدر تعليماته إلى قومندان مدينة المنصورة بقطع رؤوس جميع المسجونين الذين أخذوا معهم أسلحة، وعليكم إرسال الجثث في هذه الليلة إلى شاطئ النيل وإغراقها في النهر)[1].

رابعًا: وفضلاً عن تجارة الرقيق -وهي نقطة سوداء فاجرة في صفحة الاستعمار الأوربي - فإنه قام أيضًا على أشلاء وأنقاض السكان الأصليين، فقد صحب الهجرة الأوروبية وتبعها عملية إبادة رهيبة، عامدة أو عفوية، للأهالي الوطنيين، وصلت بهم في بعض الحالات إلى حد الانقراض، فقد كان الاستعمار ينتزع الأرض الجديدة والجيدة؛ ومن ثمّ يطرد منها أصحابها إلى الأطراف غير الصالحة للسكنى أو للزراعة، وذلك إما بالحرب والإفناء وإما بالمطاردة حتى الانزواء.

كذلك فإن دخول الرجل الأبيض إلى وسط بيولوجي مختلف، حمل معه عديدًا من الأمراض التي لم تكن معروفة للأهالي الأصليين الذين لم تكن لهم مناعة ضدها؛ لذلك أحدثت الأمراض الوافدة أوبئة رهيبة أفنت مئات الألوف من الوطنيين. بالإضافة إلى دخول الأسلحة النارية والكحوليات والسخرة الأوربية، وكلها من عوامل الموت للوطنيين.. **أي أن الاستعمار الأوربي أتى لهم بعوامل الموت المباشر وغير المباشر**[2] كما ذكرنا بالعنوان آنفًا.

خامسًا: إن الولايات المتحدة بوجودها القسري من قواعد وأساطيل أصبحت

---

(١) نفسه، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) ص١٣٧، مصدر سابق.

جغرافيًا وسياسيًا (جارًا) تشترك حدوده مع حدود كل دول العالم تقريبًا. . ولها أيضًا وجودها، وذلك بمخابراتها السرية وعملائها وتكنولوجيات التجسس. . . إلخ.

ولهذا كله أصبح العالم الثالث يواجه عدوانية الإمبريالية الأمريكية المسلحة وحيدًا شبه أعزل.

وبهذا عدنا أو كدنا بدرجة أو أخرى إلى منطق وواقع القرن التاسع عشر وإستراتيجية عصر الاستعمار التقليدي القديم[1]. أو بعبارة أخرى نعيش أو نكاد نعيش منذ الحرب الثانية قرن الولايات المتحدة، وإننا نكاد نشهد الآن عصر (أمركة) العالم سياسيًا كما هو حضاري -بعد أن عشنا عصر (الأوربة) في القرن الماضي[2].

●●●

(١) نفسه، ص٣٦٨.

(٢) نفسه، ص٣٧١.

الفصل الثاني عشر

استمرار الحروب الصليبية ومعها الإرهاب

استمرار الحروب الصليبية ومعها الإرهاب:

ونعني بها حروب أفغانستان والعراق والجرائم البشعة للصرب في البوسنة والهرسك خاصة، بالإضافة إلى معاناة المسلمين الشديدة في الصومال والشيشان والفلبين.

يقول الدكتور رشدي فكّار: (وهناك رغبة هائلة الآن لخنق هذه الأمة تمامًا وشل حركتها وتجزئتها والتهامها جزئية بعد أخرى)[1]، وتفوق هذه النوائب كلها نكبة استعمار فلسطين وما عاناه أهلها بواسطة الإنجليز أيام الانتداب الذين أجهضوا حركات المقاومة الفلسطينية بالبطش والقوة وبانتزاع سلاحهم فحرموهم من الدفاع عن أنفسهم.. بينما سمحوا بارتكاب العصابات الصهيونية لأبشع الجرائم من هدم القرى وقتل الرجال والنساء والأطفال العزل، بواسطة قادتهم أمثال بن جوريون وبيجين وديان وشارون وغيرهم.. وما زالت حكومة إسرائيل تعمل على انتزاع ما تبقى من الأراضي في أيدي الفلسطينيين ورفض عودة اللاجئين الموزعين في أنحاء العالم، وفي ذات الوقت تعطي الحق لكل يهودي في العالم أن يستوطن فلسطين، ورغم ذلك كله ما زالت دول الغرب تمد الكيان الصهيوني بأفتك الأسلحة الذرية وتتغاضى عن إرهاب الدولة وتلصقه زورًا وبهتانًا بالعرب والمسلمين!!!

ونحن إذا تتبعنا الحروب الصليبية تاريخيًّا فسنجد أن أول من فجرها هو البابا أربان الثاني الذي وقف خطيبًا عام ١٠٩٥م في مجمع كليرمونت الكنسي بفرنسا قائلاً (أيها الجنود المسيحيون اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار المسلمين)[2].

وظل العداء للإسلام هو الذي يوحد بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ودول أوروبا، بدليل تلاشي التناقض الظاهر بين أمريكا والاتحاد السوفيتي بقيام الدولتين معًا بالاعتراف بإسرائيل فور قيامها عام ١٩٤٨م.

---

(١) د. رشدي فكّار في حوار متواصل، ص ٨٧، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

(٢) د. محمد مورو (الحرب الصليبية لم تتوقف قط) ص ١٨ مجلة (المختار الإسلامي) العدد ٣٦٩ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ- مارس ٢٠١٣م.

وبالرغم من حدة الصراع الثانوي بين فرنسا وإنجلترا في نهاية القرن التاسع عشر، رأينا هذا التناقض يتلاشى مع ظهور الثورة العرابية، فوجدنا فرنسا تضحي بمصالحها في مصر (وتسلّم الكعكة كلها لإنجلترا خوفًا من خطر الثورة العرابية على المشروع الاستعماري برمته)[1].

ويقول المؤرخ الإنجليزي «أرنولد توينبي»: (إن المنافسة بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة على زعامة العالم، وبين المذهب الحر والشيوعية هو موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي)[2].

أما تفسير ظهور العداء للإسلام سافرًا بواسطة الولايات المتحدة ودول أوروبا بأنه نتيجة انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، هذا التفسير يتسم بالسطحية ولا

---

(١) نفسه، ص ١٨. وهذا ما يؤكد الوجه الاستعماري البشع للحملة الفرنسية وعلاقته بحركة الاستعمار الأوروبي عامة، والوسائل الهمجية التي اتبعها بونابرت ضد الجنود المماليك والعثمانيين الذين حاربهم، وضد المقاومة الشعبية المصرية، وما فعلته الحملة بأهل الإسكندرية من بطش.. وقد تبين من السلوك الإجرامي لنابليون أنه كان غازيًا استعماريًا متبعًا أحط ما عُرف من سبل لإخضاع المصريين[1].

كذلك فإن الأوزار التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر زادت على الحد حيث ضحى أكثر من مليون شهيد جزائري لتحقيق حريتهم من الاستعمار الفرنسي الذي اتسم بالعداء الشديد للإسلام، فقد قال وزير الحربية الفرنسية عام ١٨٣٠ وهو عام احتلال الجزائر (إن الحملة على الجزائر هي حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله للثأر من أعداء المسيحية)[2].

ولم تكن أوزار إنجلترا -المنافسة لفرنسا في الاستعمار، بأقل شأنًا من فرنسا، وما فعلته في مصر والهند - على سبيل المثال- يحتاج إلى مجلدات.. فقد احتلت مصر نحو سبعين عامًا كانت مليئة بالنكبات.. وسجل جرائمها ومذابحها في الهند عام ١٨٥٧م حافل بالرزايا؛ إذ قضت على الحكم الإسلامي بها الذي استمر ثمانية قرون، وقد وصفها أحد الكتاب الإنجليز قائلاً (إن ضباط جيوشنا، كانوا يقتلون المسلمين المجرمين من غير رحمة أو ألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة)[3].

(٢) نفسه.

---

(١) د. رءوف عباس (الجمعية التاريخية والحملة الفرنسية) ص ١٥٠ مجلة الهلال مايو ١٩٩٨م وينقد هذه الجمعية لإحيائها ذكرى الحملة التي كانت عملاً استعماريًا محضًا.

(٢) بسام العسيلي (جهاد شعب الجزائر)- دار النفائس- بيروت.

(٣) صافيناز كاظم (الذئاب لا تحتاج ذريعة للانقضاض) ص ١٢٦ مجلة الهلال يونيو ٢٠٠٤م.

يتفق مع البحث العلمي الذي يثبت أن التناقض بين النظامين الأمريكي والسوفيتي ليس جوهريًا بل هو نزاع عائلي كما صوره المؤرخ توينبي.

(أما التناقض الرئيس في هذا العالم هو التناقض بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الذي أدى بدوره إلى صراع واستمر في الزمان والمكان.. **وذلك منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم)**[1].

فحين دخل الجنرال اللنبي القدس يوم ٩/ ١٢/ ١٩١٧م قال قولته المشهورة: (الآن انتهت الحروب الصليبية).. وسماها لويد جورج بأنها (الحملة الصليبية الثامنة).. كما وقف الجنرال جودو الفرنسي أمام قبر صلاح الدين بدمشق يوم ٢١/ ٦/ ١٩٢٠ قائلاً: (ها قد عدنا يا صلاح الدين)[2].

وجريدة الحزب الشيوعي تقول في عدد ٢٢ مايو سنة ١٩٥٢ (من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائيًا)[3].

ويذكر الدكتور صلاح الدين نوّار أن الحروب الصليبية لها وجهان: أحدهما قديم لأنه يذكرنا بعصر التوسع الصليبي الغربي الذي حاول اجتياح العالم الإسلامي من المحيط إلى الخليج منذ قرون مضت.

---

(١) نفسه. ومنذ قيام حزب السلامة بقيادة أربكان بتأسيس الحزب على الإيمان بالله تعالى وعلى الاهتمام بالأخلاق والاعتزاز بحضارة الإسلام.. فقد أحدث قشعريرة في كواليس السفارات الغربية في أنقرة لأنه يريد أيضًا تحويل تركيا عن الغرب والعودة بها من جديد إلى تراثها الإسلامي.

وقالت الإيكونوميست البريطانية: إذا قدر لحزب السلامة الفوز بالانتخابات القادمة فإن الشيء المثير للقلق في الغرب هو أنه لا يزال إلى الآن فئات كبيرة من الشعب التركي لم تستطع هضم الإصلاحات التي قام بها أتاتورك. وكتبت جريدة لوفيغارو الفرنسية: تركيا وصلت إلى مفترق الطرق والمراقبون السياسيون ينظرون بتشاؤم إلى تركيا التي تدل تطوراتها الأخيرة على أنها تريد استرجاع أمجاد الإمبراطورية العثمانية، وتعيد أمجاد الإسلام.

محمد الحسن (المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي) ص ١٣٩ ط دار البشير ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٢) نفسه ص ١٩.

(٣) نفسه ص ٢٠.

والوجه الآخر جديد يتمثل في المأساة البشرية التي مارسها الاستعمار الغربي في العالم الإسلامي بإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين في القرن العشرين، بجانب العدوان الصليبي الحديث على مسلمي شرق أوروبا وما يتعرضون له من مذابح وإبادة في كل من البوسنة والهرسك وغيرها على أيدي الصليبيين الجدد[1].

وتقول الكاتبة الصحفية سهير جبر (هل ما زال هناك شك أنها حرب ضد المسلمين، وأن الإسلام هو المستهدف في أفغانستان وباكستان؟ ومن أفغانستان للباكستان والصومال والعراق لإندونيسيا للشيشان ولمسلمي الفلبين... وما زالوا ينكرون أنها حرب ضد الإسلام.. أشعر برعب شديد على العالم)[2].

وتحت عنوان (شبح الحروب الصليبية يرى محمد أسد أن الحدث العظيم الأهمية الذي زاد في عداوة الغرب للإسلام ذلك هو سقوط القسطنطينية في يد الأتراك. لقد كانت أوروبا ترى بقية الزهو اليوناني الروماني القديم على القسطنطينية، وكانت تنظر إليها على أنها حصن أوروبا ضد -برابرة- آسيا... وبعدها لم تبق عداوة أوروبا للإسلام ذات أهمية ثقافية فحسب، بل ذات أهمية سياسية أيضًا. وهذا زاد اشتداد العداوة[3].

كذلك يرى الدكتور صلاح عدس أن الحروب الصليبية مستمرة حتى الآن.. ويبرهن على ذلك بأنها في مرحلتها الحالية بدأت بالقضاء على المسلمين في داخل أوروبا وذلك في البوسنة والهرسك وكوسوفا في تسعينيات القرن العشرين ثم انتقلت لاحتلال بلاد المسلمين في أفغانستان والعراق والبقية تأتي، أما القضاء على المسلمين في داخل أوروبا فكان انتقامًا من الدولة العثمانية التي صدت حملاتهم الصليبية وضمت إليها اليونان والمجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا والبلقان، ولن ينسى الغرب أن محمد الفاتح العثماني هو الذي فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وأن السلطان

---

(١) د. صلاح الدين نوار (العدوان الصليبي على العالم الإسلامي) ص ٨ ط دار الدعوة بالإسكندرية، سنة ١٩٩٣م.

(٢) سهير جبر، مقال بعنوان (احمنا يا رب) جريدة (الأخبار) بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٢م.

(٣) محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص ٥٩ ترجمة د. عمر فروخ ط ٨ سنة ١٩٧٤م. دار العلم للملايين - بيروت.

سليمان القانوني وصل إلى أبواب فيينا، كما يقول بروكلمان في كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) وكان معه ثلاثمائة ألف جندي مسلم أرعبوا فيينا وأوروبا.

ويقول (بروبير مانتران) في كتابه (تاريخ الدولة العثمانية) أن السلطان سليم الأول فتح مصر والمغرب كي يصل إلى الأندلس ليستردها المسلمون، وفعلاً وصل إلى الجزر المجاورة لشاطئها واستولى عليها، ولن ينسى الغرب انتصار السلطان مراد على الصرب في كوسوفا سنة ١٣٨٩م وقتل ملكها لازار، ودخل أهلها في الإسلام لذلك انتقموا منهم الآن بحرب الإبادة... وانتقلوا لاحتلال أفغانستان والعراق لنهب بترولها ولكنهم فشلوا. قال هنري كسنجر (إن تحقيق نصر أمريكي على العراق شي مستحيل)[١].

هذا، وقد حسم الدكتور صلاح الدين نوار قضية بواعث الحروب الصليبية فقال: (وعلى الرغم من أن الكثيرين اعتبروا أن الباعث الديني لم يكن هو الحافز الرئيس الذي دفع جموع الصليبيين إلى الانخراط في الجيش الذاهب إلى الشرق الإسلامي واعتبروه ستاراً يخفي الأطماع الحقيقية للصليبيين، إلا أننا لا نستطيع أن نجرد الحروب الصليبية من أهم أسبابها ألا وهو السبب الديني؛ إذ العصر وقتذاك عصر إيمان وحرب أو هكذا يبدو للعيان. ونزاع حول أماكن ينزلها الفريقان منزل القداسة أو يقاربها، وكل يدعي صحة الحجة فيما يدعي في وقت كان للدين والكنيسة قوة عظيمة في تلك القرون الغابرة وتسلطت فيه الكنيسة ورجالها على قلوب الناس وهيمنت على مصائر الحياة في غرب أوروبا حتى أن كل من يخالف تعاليمها كان يعرض نفسه لأشد أنواع العقاب والحرمان وما أكثر أسلحتها التي كانت تستخدمها ضد معارضيها خاصة في ميدان السياسة، هذا فضلاً عن أن الكنيسة الغربية وعلى رأسها البابا هي التي دعت للحروب الصليبية في مجمع كليرمونت الكنسي عام

(١) د. صلاح عدس (أزمة العالم الإسلامي.. الطاعون القادم من الغرب) ص ١٠٤، ١٠٥ مجلة (المنار الجديد) ربيع الأول سنة ١٤٣٤هـ- يناير سنة ٢٠١٣م.

١٠٩٥م، وأدى ذلك إلى خروج الناس أفواجًا في حملات صليبية إلى الشرق الإسلامي استجابة لنداء أو دعوة البابا أوربان الثاني وهي الجماعات التي تسمى في التاريخ الغربي وفي حوليات اللاتين بالحجاج (piligrims) رغم أنها نهضت للقتال واسترداد بيت المقدس خاصة وأن أهل العصور الوسطى تآلفوا على تسمية الجماعات المسيحية باسم الأحرام المقدسة التي تحج إليها.

يضاف إلى ذلك أن للحملة الصليبية الأولى، وهي المحور الرئيس لدراستنا هذه، أهمية كبيرة لأسباب؛ منها أنها تلقي الضوء على تاريخ العلاقات القائمة بين اللاتين والمسلمين والروم والبيزنطيين، كما أنها تعتبر فصلاً من الفصول المهمة في تاريخ الحركة الصليبية وفي تاريخ الصراع المرير بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور)[١].

وقد رأينا في العصر الحديث أن وصف الحرب بالصليبية تتردد على ألسنة بعض ساسة الغرب:

منها ما أعلنه بوضوح ميلوسفيتش حاكم الصرب المعادي للأتراك (أي المسلمين) أن صربيا على وشك الهجوم على البوسنة في حرب صليبية جديدة.

وشاركه في ذلك المسئولون الصربيون، والإعلام الصربي، والكنيسة الصربية، كذلك الإعلام اليوناني، بصراحة ووضوح هدف حرب البلقان ١٩٩٢- ١٩٩٥: وهو استئصال الجيب الأخير للمسلمين في أوروبا.. ويقول الدكتور مراد هوفان (وما رأيناه على أرض البوسنة ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، وبعيون الصرب واليونان، وهي على هذا حرب دينية ذات وحشية خاصة.. إن الصرب يذبحون المسلمين جماعيًا)[٢].

(١) د. صلاح الدين نوار (العدوان الصليبي على العالم الإسلامي) ص ١١.

(٢) د. مراد هوفمان (الإسلام كبديل ص١٦٠، ١٦١) ترجمة عادل المعلم، دار الشروق ١٤١٨هـ-٢٠٠٤م، ويذكر أيضًا أن اليونان دعت بطرس غالي لتسليمه جائزة قدرها ٢٠٠٠٠٠ دولار! ص ١٦٠.

وتبنّى الإعلام اليوناني قضية عدم السماح بإقامة دولة مسلمة في أوروبا، وبعد أن قتل الصرب مائتي ألف مسلم.

كذلك تحتفل فرنسا بمعركة بواتيه التي هزم فيها شارل مارتل قوات المسلمين المنطلقة من الأندلس، وكانت تلك المعركة في (١١٤هـ- ٧٣٢م).

ولا زالت تتردد في أسماعنا وصف الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على أفغانستان بأنها حرب صليبية على لسان الرئيس الأسبق بوش.

ويمضي الدكتور مراد هوفمان في سرد الأحداث التي تبرهن على الضغائن التي يحملها الغرب في نفسه بكراهيته للإسلام والمسلمين فيقول وكأنه يحذرنا مما هو قادم: (طالما ظل الغرب بسبب تعصبه التاريخي يعاني نفسيًا وفكريًا من الإسلام، فلن تكون البوسنة هي آخر بوسنة. وفي الواقع فإن في عام ١٩٩٥ وقبل هدنة البوسنة، تعرض شعب مسلم آخر للمذابح الجماعية، وكان في هذه المرة شعب الشيشان. تعدادهم ١,٢ مليون نسمة. أرسلت إليهم روسيا مائة ألف جندي وما يقرب من ألفي دبابة والمئات من الطلعات الجوية.. دافع ذلك الشعب عن إسلامه بقيادة الإمام منصور في القرن الثامن عشر، والإمام شامل في القرن التاسع عشر، ويقاتل اليوم بتصميم مذهل وتضحيات هائلة وحيداً منفرداً ويا حسرتاه، لا يقدم أحد لهذا الشعب الجسور المعتز بدينه وكرامته ونفسه، لا يقدم له أحد يد المساعدة سواء كان ذلك في العالم الغربي أو العالم الإسلامي.

وقد تحقق لهذا الشعب النصر في نهاية عام ١٩٩٦م، فعقدت روسيا معه معاهدة خمس سنوات، وسحبت جحافلها. تعلل الغرب بأسباب سيادة الدولة.. وحدة الأراضي.. النظام العام.. تلك المصطلحات الجوفاء الرنانة التي يتلاعب بها كيف يشاء. ولكن في عمق الأعماق، هناك خوف من تطورات تأتي بدولة إسلامية فيدرالية في القوقاز، تجمع الشيشان، داغستان، أبخازيا، كيركاسيا، أنجوشليا، وأوستيا. تحدث هذه الفظائع عندما يصبح التشويه والتحريف والتزوير تقليداً... يعرف الفلسطينيون ذلك أكثر من أي مسلم الآن!)[1].

---

(١) نفسه ص ١٦٤ ويصف حرب الشيشان بأنها لا مثيل لها في التاريخ، وقد رضخ العملاق الروسي للشيشان، واضطر لعقد معاهدة تحفظ ماء الوجه، وسحب جيشه.

ونظرًا لاهتمام الدكتور مراد هوفمان بمآسي المسلمين في الغرب وما تعرضوا له من حروب إبادة تُعيد إلى الأذهان الحروب الصليبية، فلم يكتف بما عرضه بكتاب (الإسلام كبديل)، ولكن عاد في كتابه (الإسلام عام ٢٠٠٠) فتوسّع وزاد في التحليل والشرح، وتتبع مواقف المستشرقين من الإسلام وتوقعاتهم عنه في المستقبل، بالإضافة إلى موقف حلف الأطلنطي من العالم الإسلامي، وكأنه يحذرنا بشدة وينبغي علينا أخذ تحذير الدكتور مراد هوفمان مأخذ الجد، فإنه -بحكم عمله كخبير نووي سابق في حلف الأطلنطي- يعرف ما يجري وراء الكواليس.

هذا، وقد شاركه الدكتور أحمد شلبي فأخذ يحذرنا بدوره من مصير الأندلس، فكتب تحت عنوان (الأندلس . . . الدرس والتاريخ) -بمناسبة مرور خمسة قرون على ضياع الأندلس (١٤٩٣- ١٩٩٣) فتساءل:

كيف نرى عالمنا الإسلامي بعد خمسة قرون من سقوط الأندلس؟

(إن النظرة الصريحة تقرر أن السببين اللذين أسقطا الأندلس يعيشان في عالمنا الإسلامي المعاصر بنشاط أوسع وبقدرات أعظم مما كانت عليه أيام الأندلس، فالقوة الصليبية أكثر تماسكًا واقتدارًا، والدولة الإسلامية أكثر ضعفًا وتفككًا، أما عن القوة الصليبية الجديدة فإننا نذكر أنه قد ظهر كائن صليبي جديد هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يقود العالم الآن دون منافس، وهو كائن يحكمه الصليب والنجمة التي ترمز للصهيونية، ومعنى ذلك أنه يتمثل في الولايات المتحدة عدوان للإسلام هما الصليبية والصهيونية وليس عدوًا واحدًا، وهذه القيادة الجديدة يتبعها كل الصليبيين في العالم، وتدل الظروف والأحداث الآن على سُعار صليبي يهودي ضد الإسلام والمسلمين، وقد استطاع هذا الزحف الجديد أن يستولي على جزء عزيز من الأرض العربية الإسلامية وهو فلسطين، وأن يزيل اسمها ويطرد سكانها ويقتل منهم على نحو ما فعل المسيحيون بإسبانيا في عهد فرديناند وعهد فيليب الثالث (١٦٠٩- ١٦١٤)، وهو -عند كتابة هذه السطور- يهاجم مسلمي البوسنة والهرسك، يقتلهم ويدمر منازلهم ويحرمهم من الهجرة ومن الطعام، ويقف الصليبيون موقفًا سلبيًا بعيدًا عن الإنسانية.

والقوة الصليبية الحديثة لها تخطيط أشنع وأبشع من القوة الصليبية السابقة، فالقوة الصليبية السابقة قنعت باسترداد الأندلس، ورأت البحر المتوسط يفصل بين المسلمين وأوروبا فهدأت ثورتها.

ولكن القوة الصليبية الحديثة تخطت البحار والحدود، وزرعت لها مراكز خطيرة في مناطق مختلفة، وأهمها مركز خطير في فلسطين لم يقنع بالاستيلاء على أرض هذا الوطن، بل راح يمد يديه وعينيه للأراضي المجاورة.

وزرعت القوة الصليبية الحديثة مراكز في إثيوبيا وفي جنوب السودان وفي لبنان، وهي قوة كالعقرب تضرب في مختلف الجهات)[1].

ويقدم الدكتور أحمد شلبي نصحه للمسلمين بالإفادة من التاريخ فإنه شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل، وعليهم أن يسلحوا شعبهم ويدبّروا أمرهم، وينتفعوا بما لديهم من منح وإلا فالطوفان.

ويقرر أن المسلمين قوة هائلة من ناحية المال والعدد والموقع، وقد حباهم الله وفرة في الذكاء والثراء مما لا يسمح لهم بالضعف والخضوع.

ولو تجمع المسلمون لترددت القوى الأخرى في العدوان عليهم وقد تجمعت دول أوروبا مع اختلاف اللغة وانزواء الدين، فما أجدر المسلمين أن يتحدوا ولديهم وسائل كثيرة للتجمع والوحدة.

وتحت عنوان [كلمة تحذير]، يقول: (في هذه الكلمة نصرخ مطالبين باليقظة قبل فوات الأوان).

وكان يدعو بصيغة ملؤها الإخلاص قال: (يا رب ارفع بلاد الإسلام، ووجه زعماء المسلمين لما يرفع شأن الإسلام ويعلي قدر الحاكم والمحكوم، وحينئذ سيكون من اليسير أن نقف في وجه الطغيان الصليبي، ونحمي أنفسنا وبلادنا من عدوانه.. وبالله التوفيق)[2].

---

(١) د. أحمد شلبي (صيحة تحذير من الزحف الأسود في البوسنة والهرسك) ص ٨١، ٨٢، ط قايتباي للطباعة بالإسكندرية ١٩٩٣م.

(٢) نفسه صفحات ٧٠، ٨٨، ٩٠ بتصرف يسير.

ظاهرة اختلاف المعايير في التعامل مع المسلمين (جرائم الصرب نموذجًا):

أثار غضب هوفمان طريقة الكيل بمكيالين في تعامل الغرب مع جرائم الصرب الوحشية ضد مسلمي البوسنة.

فلم يتدخل العالم -المتحضر!- عسكريًّا، ولكن انشغل في المساعدات الإنسانية! وعمل بجد واجتهاد؛ حتى يضمن للمسلمين أن يُعذبوا أو يغتصبوا أو يموتوا وهم «شبعانون».

ومع هذا، فبدلاً من أن يشق الناتو طريقه بالقوة لفك حصار سراييفو لمدة ثلاث سنوات، قرر الناتو بكل إنسانية أن يمد سراييفو بكوبري جوى من الأطعمة، وذلك الكوبري الذي يفتحه الصرب وقتما يشاءون ويصادرون منه ما يريدون!

أما الأمم المتحدة، فقد أرسلت قوات لحفظ السلام، فإذا كان السلام مفقودًا فكيف تحافظ عليه تلك القوات، والتي جاءت بمرسوم لا يسمح لها بالقتال؟ ومن الأعاجيب أن عائلة الأمم المتحدة فرضت حظر السلاح على المعتدي والمعتدَى عليه من يوليو ١٩٩٢ وحتى نهاية ١٩٩٥[1].

ولم تتحرك طائرات الناتو إلا عام ١٩٩٥ وكانت متأخرة؛ مما أدى إلى ٢٠٠ ألف قتيل و ٥٠ ألف اغتصاب، وأضعاف ذلك من اللاجئين، وعشرات الآلاف من المباني المهدومة، وكل ذلك في قلب أوروبا، وتحت سمع وبصر «القوى المتحضرة»!

---

(١) د. مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ١٥٨، وقد أدانت ماليزيا بطرس غالي شخصيًا في مأساة البوسنة، فقد تقاعس عن الدفاع عنها، بل قدم تقريرًا يدافع به عن سفاح بلجراد وينسف كل شرعية القرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة؛ مما دفع بجريدتي الجارديان البريطانية والواشنطن بوست بالاعتراض عليه.

فقالت الأولى: إن القرارات التي صدرت كانت تهدف لوقف الحرب في البوسنة وأيضًا قلب حكومة سلوبدان ميلوشيفتش رئيس صربيا، ولكن تقرير بطرس غالي يدمر هذه الجهود[1].

وقالت الصحيفة الثانية (أدان الدبلوماسيون الغربيون هذا التقرير الذي نشره بطرس غالي ووصفوه بأنه غبي ومضلل ويخرب الجهود الدولية التي تحاول عزل نظام الرئيس الصربي... إذ يمنحه نصرًا دعائيًا)[2].

---

(١) محمد جلال كشك (إنهم يذبحون المسلمين) ص٩٩.

(٣) نفسه ١٠٣.

ويرى الدكتور مراد هوفمان أن التعصب الديني هو الذي أدى إلى سقوط الغرب في اختبار البوسنة، ويدلل على ذلك بقوله (افترض استبدال الصرب الأرثوذكسي والبوسنويين أدوارهم، فيقوم البوسنويون بالهجوم على الصرب، واحتلال أراضيهم، وذبح ٢٠٠ ألف صربي مسيحي، واغتصاب عشرات الآلاف من المسيحيات، هل كان غرب اليوم يلزم الصمت إزاء هؤلاء المسلمين البرابرة؟ هل يتخيل أحد أن الغرب سيكافئ المعتدين المسلمين بفرض حظر سلاح على الطرفين؟ الإجابة دائمًا: لا)[١].

ويرى الدكتور هوفمان أن قصف الناتو لموقع الصرب -المتأخر جدًّا- في خريف سنة ١٩٩٥م، لم يحدث تعاطفًا مع المسلمين أو لصالحهم، وإنما كان ليقبل الصرب (الأغبياء العنيدون) تسوية هي في صالحهم في المقام الأول، وخوفًا من انقلاب الموازين العسكرية لصالح البوسنة، بعد أن ارتفعت كفاءة جيشها وعدده وتسليحه، وبعد أن أوقفت تلك الحرب الغرب عاريًا تمامًا أمام أنظار العالم أجمع[٢].

هذا، وقد أثارت طريقة اختلاف المعايير التي يسلكها الغرب مع المسلمين، أثارت الصحفي السويسري روجيه دوباسكويه أيضًا؛ إذ لاحظ أن أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها على ما تزعمه من برامج نووية لباكستان أو العراق أو إيران، أو حتى كوريا الشمالية، بينما يعلم العالم كله علم اليقين امتلاك إسرائيل للسلاح النووي. . ويعلن المسئولون الأمريكيون على مختلف مستوياتهم أن عليهم التزامًا أخلاقيًّا تجاه إسرائيل، وهي دولة الإرهاب الأولى في المنطقة، وما فعلته بالفلسطينيين لم يحدث في تاريخ العالم من قبل -إلا ما فعله المستعمرون بالهنود الحمر في أمريكا- وحادثة الحرم الإبراهيمي ليست الأولى من نوعها في تاريخ الإجرام اليهودي، ولكن وسائل الإعلام سكتت مع أن تلك العملية تجسّد فيها الإرهاب على مستوى الأفراد والجيش ورجال الدين والقضاة والدولة)[٣].

---

(١)، (٢) نفسه ص ١٦٣ وأضاف تعليق الناشر الإنجليزي قوله (طبعًا لو المسألة العكس لكان تصرف الغرب مختلفًا تمامًا، ثم أردف قائلاً: هذه هي حقائق الحياة!)، وكان أحد المسئولين في البوسنة قد قال (لولا أربع دول لاختفت البوسنة من الخريطة)، ثم عدّد أربع دول ليس من بينها دولة عربية!

(٣) روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام) ص ١٠٧ مطابع الشروق سنة ١٩٩٤م.

ظهرت حقيقة أوروبا وانكشف «العالم المتحضر»!

كان الصحفي السويسري دوباسكويه موفقًا في وصف حرب الصرب بأنها أظهرت الغرب عاريًا تمامًا أمام أنظار العالم أجمع، وقد حكم على ذلك من مراجعته لوقائع التاريخ أيضًا، فقد أُبيد المسلمون ويبادون في بولندا واليونان ويوغوسلافيا ورومانيا وقبرص، وكلها كانت تضم نسبة مؤثرة من المسلمين، وبعضها كانت الأغلبية فيه مسلمة، ثم سقطت في قبضة السلطة اللاإسلامية بتدبير وتنفيذ القوى الغربية التي لم تنس عداءها للإسلام لحظة واحدة، ولا كفت عن كيدها وحربها ضد المسلمين[1].

وكان هذا هو التفسير الذي صرحت به كارن أرمسترونج التي كانت راهبة كاثوليكية لمدة سبع سنوات ثم تفرغت لدراسة الإسلام وألفت كتابًا عن حياة الرسول ﷺ، وقالت في مقدمته (تسود الغرب موجة من التفهم والرغبة والمعرفة نحو الأديان والفلسفات والحضارات الأخرى. . إلا دينًا واحدًا يستثنى من هذه النوايا الطيبة ولا يزالون يحتفظون له بذكرى سلبية، فالذين بدءوا يستلهمون البوذية ليست لديهم رغبة للنظر بعطف للإسلام رغم أنه الأخ الثالث في دين إبراهيم ويحمل نفس لهجة تقاليدنا اليهودية -المسيحية. فنحن في الغرب لنا تاريخ طويل من العداء للإسلام، مثل عدائنا للسامية، وبينما تغيرت النظرة للسامية منذ مذابح هتلر فإن الكراهية القديمة للإسلام ما زالت تنمو على جانبي الأطلسي (أي في أوروبا وأمريكا)؛ حيث الناس لا يتورعون عن مهاجمة هذا الدين رغم أنهم لا يعرفون عنه إلا القليل)[2].

وحذّر مؤلفو كتاب (مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك) بعد الاطلاع على الوثائق الكثيرة المتصلة بتلك الحرب، حذروا من مغبة أن نجاح هذه المؤامرة الساعية لخلع المسلمين من أراضيهم في البوسنة والهرسك سيكون البداية، وستتلوها هجمات مماثلة لقتل المسلمين الألبان الذين يقطنون في مناطق صربية، ثم تتحول هذه القوى لتخير المسلمين في مقدونيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ورومانيا وغيرها من البلاد الأوروبية، تخيرهم بين أمرين: التحول عن الإسلام أو القتل الجماعي والتهجير.

---

(١) محمد جلال كشك (إنهم يذبحون المسلمين. . مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك)، ص ٢٣ ط مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، ١٩٩٢م.

(٢) نفسه ص ٥٤، ٥٥.

كذلك يستندون في ذلك إلى تصريح قائد المليشيات الصربية الذي قال فيه بكل الوضوح إنه يقوم بذبح المسلمين في البوسنة والهرسك نيابة عن أوروبا ليحمي أوروبا من الإسلام[١].

ويتفق المؤلفون مع روجيه دوباسكويه الذي وصف تلك الحرب بأنها أظهرت الغرب عاريًا تمامًا أمام أنظار العالم أجمع.

وقالوا (أما آن لهؤلاء المفتونين هنا بحضارة أوروبا وإنسانية شعوبها ورقة مشاعرهم أن يخجلوا من ترديد هذه الترهات.

إنها حضارة هشة مزيفة لا قدم فيها ولا عراقة.. تحت جلدها الثعباني الأملس أبشع ما في الإنسان من همجية ووحشية وقسوة وكراهية.. لقد سقطت حضارتهم عند أول تجربة معاصرة.. واختفت معالمها بين غابات البوسنة والهرسك)[٢].

هذا، بينما يرى الأستاذ محمد جلال كشك أن تلك الحرب كشفت أيضًا هيئة الأمم المتحدة فقال (آخر المذابح هي التي تجرى منذ شهور في البوسنة والهرسك في ظل تآمر عالمي أطرافه أوروبا وأمريكا وروسيا والصين والأمم المتحدة في عهد بطرس غالي الحفيد.. إنها الصليبية البشعة تكشف عن وجهها، وتستأنف تاريخها الدموي في إبادة المسلمين وإزالة الإسلام.. وما الغضبة المفتعلة وقرارات الأمم المتحدة الهزلية إلا شهادة الوفاة للمسلمين.. تمامًا كما كانت الأمم المتحدة تتقاعس حتى تحقق إسرائيل أهدافها ثم يصدر قرار بوقف إطلاق النار لمنع المقاومة العربية وتثبيت إسرائيل في ما استولت عليه!)[٣].. ولم يفت الأستاذ جلال كشك نتيجة قراءته الواعية للتاريخ أن يقرر أن تآمر أوروبا على المسلمين في يوغوسلافيا عمره ستمائة سنة منذ ضم الترك بداية من القرن الرابع عشر البوسنة والصرب والجبل الأسود.. ومنذ ذلك التاريخ تجمعت أوروبا لمواجهة التحدي الإسلامي واتفقت على إبادة الإسلام من أوروبا[٤].

---

(١) حسن دوح –حامد سليمان– السيد الغضبان (مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك) ص ٤٤، ٤٥ ط أبوللو، جمادى الثانية ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م. وعلى رأس عنوان الكتاب سجلوا السؤال الوقح لقائد الصرب: (أين ربكم يا مسلمون)؟

(٢) نفسه ص ٩٦.

(٣) محمد جلال كشك (إنهم يذبحون المسلمين) ص ٣٢، مصدر سابق.

(٤) نفسه ص ٣٥.

ويسري الحكم أيضًا على أمريكا؛ إذ يسبب إلحاح الصحافة الأمريكية التي أرادت إحراج الرئيس الأسبق (بوش) بحكم المصالح الانتخابية، وأثبتت أنه لم يكن يتحرك بدوافع نبيلة ولا تنفيذًا لمفهوم ثابت لأخلاقيات العالم الجديد عندما تحرك في حرب الخليج، فراحت تسأل: لماذا يسكت بوش على العدوان الصربي.. وتساءلت: هل لأن البوسنة ليس فيها بترول؟! وقالت «النيويورك تايمس»: (عندما أرسل بوش قواته لحماية الكويت، قال: لن نسمح بانتصار العدوان، وقتها قال المشككون إنما يحمي بوش النفط.. والآن يقول الناس: لماذا يكيل الرئيس الأمريكي بمكيالين؟ إن البوسنة هي المكان الذي يستطيع الأمريكيون فيه إثبات ما قاله جيمس بيكر عن الالتزام الجماعي بحفظ السلام! ولكن وزارة الخارجية تغمغم كما لو كان البوسنانيون البؤساء شركاء في الجريمة!)[1].

هذا، وقد بلغ حرص الأستاذ جلال كشك مداه بعرض قضية ذبح المسلمين في البوسنة والهرسك بجميع جوانبها، فلم يكتف بما عرضه بكتابه مؤيدًا بالوثائق، بل سرد أيضًا مختصرًا لمقال للدكتورة عائشة عبد الرحمن نشرته بجريدة الأهرام في ٤/ ٦/ ١٩٩٢. ومما ورد به قولها إن المسلمين يعيشون الآن محنة حقيقية ليس في يوغوسلافيا وحدها حيث دكت المدافع مدن وقرى جمهورية البوسنة والهرسك ليل نهار فتشرد نحو مليون مسلم وقتلت نحو ثلاثة عشر ألف مسلم -ولكن في سبع وثلاثين دولة يتعرض فيها الآن، حسب إحصائيات المنظمات الدولية، نحو عشرة ملايين مسلم للطرد والذبح والقتل والتشريد.. والهدف كما يذكر المراقبون السياسيون هو ضرب الإسلام حتى لا تقوم له قائمة في أوروبا، بوصفه -كما يزعمون ويروجون- الخطر الأكبر الذي يهدد الحضارة الغربية، والمارد الذي خرج من قمقمه ليلتهم كل ما بناه الغرب من حضارة وديمقراطية وتقدم، كما تروج «الميديا» الصهيونية المنتشرة في كل عواصم الغرب... ثم عرضت لحصاد حرب الإبادة والتدمير: منها ٨٠ مسجدًا في البوسنة والهرسك.. وتدمير جميع مساجد منطقة (توتشا) ورفع علم الصرب فوق

---

(١) نفسه ص ٥٨، ٥٩. هذا، وقد كان الشيخ عبد الرحمن خليف- إمام جامع بن نافع بالقيروان بتونس- أكثر صراحة في اعتراضه فقال: (لو كان البوسنويون يهود «إسرائيل» لظفروا بالسلاح من شتى أنحاء الدنيا، ولو حاصرتهم دول العالم كله.. أما الشعب البوسنوي فقد عجز إخوانه المسلمون عن مده بما تتأكد الحاجة إليه من السلاح)، المصدر: البيان الاسلامي: نهج على عزت ص١٩٤، نقلاً عن د. محمد حرب (البوسنة والهدسك من الفتح إلى الكارثة)- المركز المصري للدراسات العثمانية بالقاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

مآذن المساجد والآثار العريقة في منطقة (موستار). . ومنع الأذان والصلاة فيما تبقى من بيوت الله، وعلى الخصوص صلاة الجمعة. . وتشريد نحو مليون مسلم حتى الآن حيث لا يجدى ألف قرار دولي ردع السفاحين المتحضرين!

وتضيف بأن المقصود من عمليات التدمير هو تجريد الذاكرة الجماعية لشعب البوسنة والهرسك من رموز الهوية والإنجاز الحضاري الذي نشأ عن الفكر والعقيدة الإسلامية.

وبعد عرضها لهذه القائمة الأولى وحصادها المشئوم، حرصت على التنويه بأنها عندما خاضت في هذه القضية كانت بعيدة تمامًا عن أي مشاركة سياسية، فهي بطبعها تنفر من السياسة وليست من أهلها، وتقول (إنما أنا ربيبة شيوخ ميراثًا ونشأة وتربية، طالبة علم في المدرسة الإسلامية).

ومن موقع الفكر الإسلامي أطلت على محنة (مسلمي العالم)، وعلّقت قائلة: (نحن بغفلتنا عن الموقع الفكري الإسلامي، يعبث فيه دعاة تنوير موكلون بمهمة طمس معالم وجودنا الإسلامي، وتشويه قيمه ومبادئه وآخرون موكلون بترويج بضاعة الجنس والجريمة في أخبث صورها وأحط أساليبها، مع عملاء مدربين على الإفلات من حراس الحدود وحماة الثغور بأطنان من مخدرات يغرون الشباب بتعاطيها. . وينسب بعض الإعلاميين للإسلام زورًا الإرهاب، بينما هو دين يحظر الإكراه في الدين ويمحق الفساد في الأرض وينهي عن الفحشاء والمنكر. . ومنابر الصحف الرسمية وواجهات الصوت والضوء مباحة لأدعياء العصرية أعداء الأصالة والأصوليين، يلوثون مناخنا الفكري الإسلامي بمقولاتهم الخاسرة، ويبشرون فينا. . بتنوير عصري يحررنا من خدر الأفيون، ويستهزئون بالتدين والمتدينين، ويسخرون من قيم إسلامية يرونها من حفريات زمان غبر. . ثم قالت في الخاتمة:

وأتلو من آيات كتابنا المحكم، بلاغًا للناس في هذا الزمان: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ صدق الله العظيم[(١)].

---

(١) نفسه ص ١١٣/ ١١٥ باختصار.

الخاتمة

الخاتمة

الدولة الإسلامية دولة تحريرية لا إرهابية

والآن، حريّ بنا العمل على إزالة الوهم المتنفخ بالباطل، وهو من صنع الإعلام الغربي الكذوب، برفعه لافتة (الإسلاموفوبيا)(*).

إذ تبين لنا من الدراسة الموضوعية العلمية، أنّ الأحق بالتخويف منه والتحذير من خططه الإرهابية هو الاستعمار الغربي برمّته؛ إذ تبين لكل دارس أنه في حقيقته (استخراب) وليس استعماراً على الإطلاق!

ووضعًا للأمور في نصابها، نستند إلى دراسة الدكتور جمال حمدان، وهو عالم الجغرافيا السياسية -لخصائص الدولة الإسلامية منذ نشأتها؛ حيث قال: «.. خرج عرب الإسلام من قلب الجزيرة ليبنوا دولة لم تسبقها من قبل دولة في الامتداد والرقعة، ولم تلحقها من بعد إلا إمبراطوريات العصر الحديث وحدها، بل هي في نظر (ماكيندر) الإمبراطورية العالمية الأولى في التاريخ، «تقلّد الإسكندر وتسبق نابليون»[1].

هذا، وقد تصدى للكثير من الكتاب الغربيين الذين يجادلون -في لجاج مفهوم- حيث يصفون تلك الدولة بأنها كانت (إمبراطورية استعمارية) لم تخرج عن أن تكون غزواً وإخضاعًا وتبعية أجنبية!

وكان دفع هذا الاتهام الباطل حاسمًا بواسطة الدكتور جمال حمدان، وقام بتفنيده بالتفصيل؛ حيث قرّر أنها كانت (إمبراطورية تحريرية) بكل معنى الكلمة، فهي التي حررت كل هذه المناطق من بقعة الاستعمار الروماني أو الفارسي المتداعي، واضطهاده

(*) «إن شيطنة المسلمين والعرب عملية تهدف إلى صرف الانتباه وتحويله بقدر ما هي عملية تبريرية؛ حيث إنها تحول دون استيعاب الأمريكيين للحقائق المؤسفة للإمبراطورية الأمريكية أو على الأقل تحول دون تعرفهم على آدمية ضحايا الإمبراطورية».

ستيفن شيهي (الإسلاموفوبيا -الحملة الأيديولوجية ضد المسلمين)، ص ٥٢ ترجمة: د. فاطمة نصر، ط سطور الجديدة ٢٠١٢م.

(١) نفسه، ص٢٦.

الوثني وابتزازه المادي، وبعدها لم تعرف الدولة الجديدة عنصرية، أو حاجزًا لونيًا، بل كانت وحدة مفتوحة من الاختلاط والتزاوج الحر، وما عرفت قط شعوبية، أو حاجزًا حضاريًا؛ حيث كانت وسطًا حضاريًا متجانسًا مشاعًا للجميع، لا ولم تخلق نواة متروبولية سائدة تتميز عن سائر المقاطعات والأقاليم في شيء، بل إن نواة جغرافية ما لم تحتكر السلطة السياسية قط. على العكس كانت السلطة (دولة بين الجميع) بلا استثناء إن صح التعبير. فقد هاجر مركز الحكم السياسي بانتظام، فلم يلبث بعد قليل أن ترك (النواة النووية) في جزيرة العرب التي أصبحت في النهاية وهي جزيرة الإسلام بقدر ما أصبحت دار الإسلام دار العرب الكبرى، فانتقل إلى الشام الأموية، ثم غادرها بدورها إلى العراق العباسي حتى تركه في وقت ما إلى مصر الفاطمية، وكان المغرب مركزًا آخر للقوة، ومثله كانت الأندلس.

واضح إذن أن أخوّة الدين كان يقابلها أخوة الأقاليم، وسواسية الناس كانت تترجم سياسيًا إلى سواسية الولايات والمقاطعات.

والحقيقة أن الدولة العربية الإسلامية كانت شركة مساهمة بين كل أعضائها وأطرافها، ولعلنا لا ندفع بالتشبيه إلى أبعد من حدوده السلمية إذا قلنا: إنها كانت أول (كومنولث) في التاريخ بالمعنى الحديث، مع هذا الفارق المهم جدًا، وهي أنها لم تمر بالمرحلة الاستعمارية المشينة التي مرّ بها كومنولث اليوم.

والحقيقة -أخيرًا- أن دولة العرب الإسلامية هي فصل -أول فصل- في جغرافية التحرير، وأبعد شيء عن جغرافية الاستعمار..[1].

ويؤكّد هذا المعنى أيضًا الشيخ عبد الحميد كشك، وذلك عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

قال الشيخ في التفسير: «أكان هؤلاء بشرًا أم ملائكة؟ كانوا بشرًا ولكن لا ككل البشر

(١) نفسه، ص ٢٩، ٣٠.

وإن شئت فقل: كانوا ملائكة البشر؛ لأن الذي ربّاهم كان من بين الناس رجلاً وكان من بين الرجال بطلاً، وكان بين الأبطال مثلاً: إنه محمد ﷺ محرّر العبيد الذي جعل منهم سادة ومن المستضعفين أساتذة وقادة»[1].

كذلك أبطل الرسول ﷺ طبقًا للشريعة الإسلامية عادات العرب في الجاهلية، فكان في اصطلاحهم أن الناس فيهم ثلاث طبقات: سادة، وسوقة، وموالي عتق، وكانوا يجعلون دية القتيل من السادة مضاعفة دية السوقة.. فجاء الإسلام بإبطال ذلك.

وكان العبيد والإماء لا يعلّمون ولا يثقفون مما يعلّمه الأحرار من شؤونهم، كالصيد والرماية.. والإسلام أبطل ذلك.. وكان أبناء العبيد في المدينة يتعلمون مع أبناء سادتهم.

وساد العرب في الجاهلية أيضًا عادة تحقير السلائل من الأعراب، فجاء الإسلام وأبطل ذلك واعتبر المسلمين بفضائلهم وكفاءتهم ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]. وقد ردّ رسول الله ﷺ على بعض الناس ما خالجهم أو تخافتوا به من الطعن في إمارة أسامة بن زيد (وهو مولى ابن مولى) حين أمّره على الجيش[2].

وبهذه المساواة أيضًا امتازت شريعة الإسلام عن شريعة التوراة، التي جعلت خصائص لبني إسرائيل وخصائص لأبناء لاوي منهم. وفي قوانين الفرس والروم لم يكن للدخيل فيهم من الحقوق مثل ما للأصيل[3].

إن الدولة الإسلامية كانت بحق دولة تحريرية كما وصفها الدكتور جمال حمدان، ولم تكن فتوحاتها فتوحًا استعمارية وجباية، وإنما كانت فتوح تحرير وهداية.

كانت فتوحًا في الأرض للحرية والعمران، وفتوحًا في العقيدة للتوحيد والإيمان، وفتوحًا في الشريعة للحق والعقل، وفتوحًا في السياسة للإحسان والعدل، وفتوحًا في

(١) الشيخ عبد الحميد كشك (الجانب الخُلقي في العبادات)، ص٥٠، ٥١، ط المختار الإسلامي، ١٩٧٧م.
(٢) الإمام محمد الطاهر بن عاشور (النظام الاجتماعي في الإسلام)، ص١٤٠ ط دار السلام ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
(٣) نفسه، ص١٣٨.

اللغة للأدب والبلاغة، وفتوحًا في العلم للإحياء والتجديد، وفتوحًا في الفن للابتكار والطرافة[1].

والجدير بنا الإنصات إلى صورة الأديب العملاق مصطفى المنفلوطي الذي رفعه لنصح أمته في عصره بضرورة الوحدة للوقوف في وجه أعدائها كالبنيان المرصوص.. وما زالت أحوالها كما كانت عليه أثناء حياته!! قال: (الجامعة الإسلامية بالنسبة للمسلم هي الجامعة الكبرى التي يجب أن يمنحها بنات قلبه وجوهر لبه، قبل أن يمنح ذلك غيرها من الجوامع الأخرى، وما احتاج المسلمون إلى تلك الجامعة في دور من أدوار حياتهم احتياجهم إليها في هذا العصر الذي أصبحوا فيه شتى المسالك والمذاهب بين سمع الأرض وبصرها. وأصبحوا لا موطن لهم إلا تلك البقاع المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها التي يعيشون فيها عيش الأذلاء المستضعفين، بين مهاجر يأكل خبزهم، ومستعمر يشرب دمهم، ومبشر يفتنهم عن دينهم، أو ينغص عليهم عيشتهم بمشاغبتهم ومجادلتهم والاستهزاء بعقائدهم وشعائرهم -فإن لم يتعارفوا ويتعاقدوا على التعاون والتناصر تعاقداً يأمنون به عن اشتداد الكربة، ويفزعون إليه من كلب الزمان وغدره كان آتيهم شرًّا من حاضرهم كما كان حاضرهم شرًّا من ماضيهم.

أنا لا أريد بالجامعة الإسلامية أن يجتمع المسلمون على قتال المخالفين لهم في دينهم فقد مضى زمن القتل والقتال، بل أريد أنهم إن كانوا يحتفلون بالجامعة الجنسية أو الوطنية مرة لأنها وسيلة دنياهم فأحرى بهم أن يحتفلوا بالجامعة الدينية ألف مرة؛ لأنها وسيلة دنياهم وأخراهم، وللآخرة خير وأبقى)[2].

●●●

(١) أحمد حسن الزيات (مجلة «المسلمون»، ص٩٧ العدد العاشر ذو الحجة ١٣٧٣هـ، أغسطس ١٩٥٤م.

(٢) مصطفى لطفي المنفلوطي (النظرات) جـ٢ ص٧٢، دار إدراك- كفر الشيخ بمصر ٢٠٢٠م.

المصادر والمراجع

- أندرياس فون بيلوف (براءة العرب والمسلمين من أحداث ١١ سبتمبر، ودور أجهزة المخابرات) ص٢٥٦/ ٢٥٧، ترجمة د/ سيد حسان أحمد، منشأة المعارف- الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

- أبو الحسن الندوي (الإسلام -أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية)، ص ١١٠ دار الصحوة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

- أرنولد توينبي (مختصر دراسة للتاريخ)، ج٤، ص١٧٦ . ترجمة: فؤاد شبل، مكتبة الأسرة بمصر ٢٠١٥.

- د. أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص٥٧ ترجمة حسن إبراهيم وزميليه.

- د. أحمد شلبي (صيحة تحذير من الزحف الأسود في البوسنة والهرسك) ص ٨١، ٨٢، ط قايتباي للطباعة بالإسكندرية ١٩٩٣م.

- أحمد حسن الزيات (مجلة «المسلمون»، العدد العاشر ذو الحجة ١٣٧٣هـ، أغسطس ١٩٥٤م.

- بسام العسيلي (جهاد شعب الجزائر)- دار النفائس- بيروت.

- بدر محمد بدر (ثلاثون كتابًا في كتاب) ص ١٦٨ طبعة سطور الجديدة الأولى ٢٠٠٩م.

- بول ديفيز وجون جريبين (أسطورة المادة، صورة المادة في الفيزياء الحديثة)، ص ٢٩. ترجمة: علي يوسف علي -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.

- توماس سواريز (دولة الإرهاب: كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب؟)، ص٣١٧ ترجمة: محمد عصفور -سلسلة عالم المعرفة- الكويت، مايو ٢٠١٨م.

- د. جلال أمين (عصر التشهير بالعرب والمسلمين -ونحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠٠م). ط دار الشروق -١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص ٥.

- جريدة (أومات) الباكستانية بعددها الصادر في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠١ نقلاً عن كتاب (١١ سبتمبر صناعة أمريكية- الخطوة الأولى نحو تغير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد) ص ٣١٩ تأليف: هشام كمال عبد الحميد- ط دار الكتاب العربي، دمشق -القاهرة، ٢٠٠٦م.

- د. جمال عبد الهادي، د. وفاء رفعت جمعة، علي لبن (أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ -الدولة العثمانية) ج٢، ١٣١، ١٣٢. دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

- د. جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير)، كتاب (الهلال)- العدد ٥٧٨، فبراير ١٩٩٩م.

- د. جمال سعد حاتم (حملات ممنهجة ضد الإسلام)، ص١٢، ١٣ مجلة التوحيد ربيع آخر ١٤٤٢هـ.

- د. جلال أمين (مستقبليات.. مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١)، ط كتاب الهلال، إبريل سنة ٢٠٠٤م.

- حسن قطامش (بدأت الحرب ولكنها.. بدون عنوان)، ص ١٦٨. مجلة (البيان) العدد ١٦٨.

- حسن دوح -حامد سليمان- السيد الغضبان (مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك) ص ٤٤، ٤٥ ط أبوللو، جمادى الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

- خالد محمد حامد، مقال بعنوان (الإسلاموفوبيا والعدالة الأمريكية) تساؤلات حول الحقيقة المحترقة، ص ٦١. مجلة «البيان، شعبان ١٤٢٢هـ -نوفمبر ٢٠٠١م (العدد ١٦٨) تصدر من المنتدى الإسلامي- لندن.

- رينيه جينو (أزمة العالم المعاصر)، ص ٥٥، ٥٦، ترجمة: سامي عبد الحميد، ط النهار بالقاهرة، ١٩٩٦م.

- زوجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام)، ص ٩ مطابع الشروق. القاهرة، بيروت.

- روجيه جارودي (الإسلام والقرن الواحد والعشرون شروط نهضة المسلمين)، ص١١٩، ترجمة د. كمال جاد الله، دار الجليل للكتب والنشر بالقاهرة، الدقي، ط١، ١٩٩٧م.

- روجيه جارودي (حفّارة القبور- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها)، ٨٨، ٨٩، دار الشروق ط ١، ١٩٩٩م.

- روجيه جارودي (الإرهاب الغربي)، ج٢، ص ٧٠. ترجمة: د. داليا الطوخي د. ناهد عبد الحميد، د. سامي مندور. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

- روجيه جارودي (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط)، ص٧٧ ترجمة: مروان حموي، ط دار الكاتب، دمشق ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- د. رشدي فكّار في حوار متواصل، ص ٨٧، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

- د. رءوف عباس (الجمعية التاريخية والحملة الفرنسية) ص ١٥٠ مجلة الهلال مايو ١٩٩٨م.

- روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام) ص ١٠٧ مطابع الشروق سنة ١٩٩٤م.

- د. زينب عبد العزيز (الفرنسكو فونية والمسألة الحضارية)، ص ٥٠، ٥١، مجلة (البيان) العدد ١٧٨ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ، أغسطس ٢٠٠٢م.

- د. زغلول النجار (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين)، ط٥، نهضة مصر ٢٠٠٧م.

- د. زكي نجيب محمود (نافذة على فلسفة العصر) جـ٢ ص١٣ . كتاب (العربي -٩٨) ١٥/ ١٠/ ٢٠١٤م.

- د. سامي محمد صالح الدلال، مقال بعنوان (الموساد، هل يزج بالولايات المتحدة في أتون حرب عالمية؟)- مجلة البيان (العدد ١٦٨).

- سمر طاهر، (كيف أصبحت أمريكا سيدة العالم في مجال الإعلام؟)، ص ١٨٤، مكتب الأسرة بمصر، ٢٠١٧م.

- د. سعيد عبد العظيم (الخلافة العثمانية)، «صفحات من التاريخ للعبرة والعظة»، دار الإيمان بالإسكندرية، ٢٠٠٤م.

- ستيفين شيهي (الإسلاموفوبيا -الحملة الأيدولوجية صفحة المسلم)، ترجمة د. فاطمة نصر، ط سطور الجديدة، ٢٠١٢م.

- د. سمير بودينار -المغرب (الرسوم الدانماركية. .)، ص ١٩٩ [العالم الإسلامي - عوامل النهضة والبناء] تقرير يصدر عن مجلة البيان -الإصدار الرابع ١٤٢٨هـ.

- د. سيد دسوقي حسن (دارسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري)، ص٥، نهضة مصر، مارس ١٩٩٨م.

- سهير جبر، مقال بعنوان (احمنا يا رب) جريدة (الأخبار) بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٢م.

- صافيناز كاظم (الذئاب لا تحتاج ذريعة للانقضاض) ص ١٢٦ مجلة الهلال يونيو ٢٠٠٤م.

- د. صلاح الدين نوار (العدوان الصليبي على العالم الإسلامي) ص ٨ ط دار الدعوة بالإسكندرية، سنة ١٩٩٣م.

- د. صلاح عدس (أزمة العالم الإسلامي. . الطاعون القادم من الغرب) ص ١٠٤، ١٠٥ مجلة (المنار الجديد) ربيع الأول سنة ١٤٣٤هـ- يناير سنة ٢٠١٣م.

- طارق البشري (رجاء جارودي. .) الهلال، مارس ١٩٩٨، ص ٨.

- طارق البشري (العرب في مواجهة العدوان)، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣م.

- د. عبد العزيز كامل (مستقبل الإسلام.. بين نور دائم ووعد قائم)، ص٣٣.

- د. عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)، ج ١، ص ١١، ١٢ ترجمة: كمال جاد الله -دراسة وتقديم: د. محمد عمارة. هدية مجلة (الأزهر) ربيع الآخر، ١٤٣٨هـ.

- د. عطية القوصي دراسة بعنوان (بدوي والتوجه الإسلامي المعاصر)، ص ٢٣٨ بكتاب (عبد الرحمن بدوي نجم في سماء الفلسفة مجموعة دراسات) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢ م.

- عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ص٥٨، ط مكتبة الصفا بالأزهر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

- د. عبد الحليم عويس (الحضارة الإسلامية- إبداع الماضي وآفاق المستقبل)، ص ٣٠٣، مكتبة الأسرة ٢٠١٢م.

- علي الجوهري (في الصراع العربي الإسرائيلي)، ص ٧٦، ط مكتبة الزهراء بالقاهرة، ١٩٩٣م.

- د. عبد العزيز محمد الشناوي (الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها)، ج ٢، ص ٢١٨، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م.

- د. عبد الفتاح فؤاد (في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام)، ص٥٣، ٥٤، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٢م.

- د. علي عبد المعطي (اتجاهات الفلسفة الحديثة)، ص٤٥٤، ٤٥٨، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

- د. عبدالعزيز حمودة (المرايا المقعرة نحو نظرة نقدية عربية) ص ٣٧. ط عالم المعرفة -الكويت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- د. عبد العزيز الشناوي (عمر مكرم -بطل المقاومة الشعبية)، ص٦٢ سلسلة (أعلام العرب) يوليو ١٩٦٧ ص٦٢.

- عبد الرحمن الرافعي (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم)، ص٢٨٦، ٢٩٦ مكتبة الأسرة بمصر، ١٩٩٨م.

- د. عبد العزيز كامل (دعاة الليبرالية! عقول محتلة.. أم ولاءات مختلة)؟ مجلة البيان -العدد ٢١٩ ذو القعدة ١٤٢٦هـ- ديسمبر ٢٠٠٥م ص ٤٨.

- فريدها ليداي (الإسلام وخرافة المواجهة- الدين والسياسة في الشرق الأوسط)، ص٤٤.

- فاروق جويدة، مقال: (ترامب.. مسرحية هزلية في تاريخ أمريكا) ص ١٣ الأهرام في ٢٢ يناير ٢٠٢١م.

- قسطنطينوس بلاخورس (نحن وعصرنا- الاضمحلال واللامنطقية) ترجمة: ياسر شداد، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية.

- كلمة التحرير لمجلة (التوحيد) بقلم جمال سعد حاتم، ربيع آخر ١٤٤٢هـ تصدرها: جماعة أنصار السنة المحمدية.

- كتاب الشرق الأوسط: (الحجاب: الحروب السرية للمخابرات المركزية الأمريكية) للصحفي الأمريكي: بوب وودا ورد، ص ١٤٧. دراسة: سامي الرزاز، سينا للنشر بالقاهرة، ١٩٩٠م.

- كارين أرمسترونغ (القدس- مدينة واحدة عقائد ثلاث)، ص٤٥٣، ترجمة: د. فاطمة نصر- د. محمد عناني، مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

- مقال بعنوان (تداعيات الإساءة للإسلام)، جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٠م ص١٦، ١٧ من كتاب شريف الشوباشي: (هل فرنسا عنصرية)؟ مطابع الأهرام ١٩٩٢م.

- مجلة (البيان) العدد ٣٠٤، ذو الحجة ١٤٣٣هـ، نوفمبر ٢٠١٢م، ص ٥.

- د. محمد عمارة (مقدمة كتاب (دفاعًا عن القرآن ضد منتقديه) للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٣٣. مجلة (الأزهر) هدية شهر رجب ١٤٣٦ه.

- محمد بن عبد الله الدويش، مقال بعنوان (تدافع القيم في التعليم)، ص ٢٩، ٣٢ مجلة (البيان) ذو الحجة ١٤٣٣هـ، نوفمبر ٢٠١٢م.

- محمد وجدي قنديل، مقال بعنوان (هجمات سبتمبر: وأصابع المخابرات!) جريدة (الأخبار) القاهرة الصفحة الثامنة عشرة ٢٠ شعبان ١٤٢٧هـ، ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م.

- د. محمد حامد الأحمري، مقال بعنوان (الإرهاب يباع ولا يعلّم- دعوة للسلام ومواجهة الإرهاب ومحاكم التفتيش) ص ٩١ مجلة البيان العدد ١٦٨.

- محمد بسيوني (العار الأمريكي من جوانتانامو أبو غريب -تعذيب- إذلال- إهانة - صور فاضحة)، ص ٣٢ ط دار الكتاب العربي -دمشق/ القاهرة، ٢٠٠٥م.

- مجلة المختار الإسلامي ص ٢٣، شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر ٢٠٠٧م العدد ٣٠٢.

- محمد إبراهيم مبروك (تهيئة الشعوب للاستعباد في عصر العولمة)، ص ٣٧ (تقرير إستراتيجي) يصدر عن مجلة (البيان) بعنوان (مستقبل الأمة وصراع الإستراتيجيات)- الإصدار السادس ١٤٣٠ه.

- د. محمد عباس (اغتيال أمة)، ص٢١، مكتبة مدبولي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- محمد المبارك (نحو إنسانية سعيدة) ص٨٣. ط٢. دار الفكر -بيروت- ١٣٨٩ هـ- ١٩٧٠م.

- مقال بعنوان [الأشواك الجارحة في حقلنا الإسلامي المعاصر) مجلة التوحيد ربيع آخر ١٤٤هـ، تصدر عن جماعة أنصار السنّة المحمدية بمصر). بقلم د/ عبد الوارث عثمان.

- د. محمد علي أبو ريان (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام)، ج١ ص١٨/ ٢١ باختصار، ط دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠م.

- محمد علي قطب (مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس)، ص٦ ط مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
- د. محمد مورو (الحرب الصليبية لم تتوقف قط) ص ١٨ مجلة (المختار الإسلامي) العدد ٣٦٩ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ- مارس ٢٠١٣م.
- محمد الحسن (المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي) ص ١٣٩ ط دار البشير ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- محمد أسد (الإسلام على مفترق الطرق) ص ٥٩ ترجمة د. عمر فروخ ط ٨ سنة ١٩٧٤م. دار العلم للملايين - بيروت.
- د. مراد هوفمان (الإسلام كبديل ص ١٦٠، ١٦١) ترجمة عادل المعلم، دار الشروق ١٤١٨هـ-٢٠٠٤م،
- محمد جلال كشك (إنهم يذبحون المسلمين.. مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك)، ص ٢٣ ط مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، ١٩٩٢م.
- مصطفى لطفي المنفلوطي (النظرات) جـ٢ ص٧٢، دار إدراك- كفر الشيخ بمصر ٢٠٢٠م.
- نزار بشير (حضارة الدم وحصادها -فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي)، ص ٣٤ ط الزهراء للإعلام العربي، ط ٢٠٠٣م.
- هربرت أ. شيللر (المتلاعبون بالعقول) ترجمة: عبد السلام رضوان، ص ٢٧، ط ٢ عالم المعرفة بالكويت، عدد رقم ٢٤٣ ذو القعدة ١٤١٩هـ مارس ١٩٩٩م.
- هشام كمال عبد الحميد (١١ سبتمبر صناعة أمريكية -الخطوط الأولى نحو تغير خريطة العالم وتنفيذ المشروع الأمريكي للقرن الجديد)، ص ٧٣، ط دار الكتاب العربي- دمشق/ القاهرة، ٢٠٠٦م.
- وليد عبد الوهاب كساب (مقالات الرافعي المجهولة)، ج٢، ص ١٨٠.

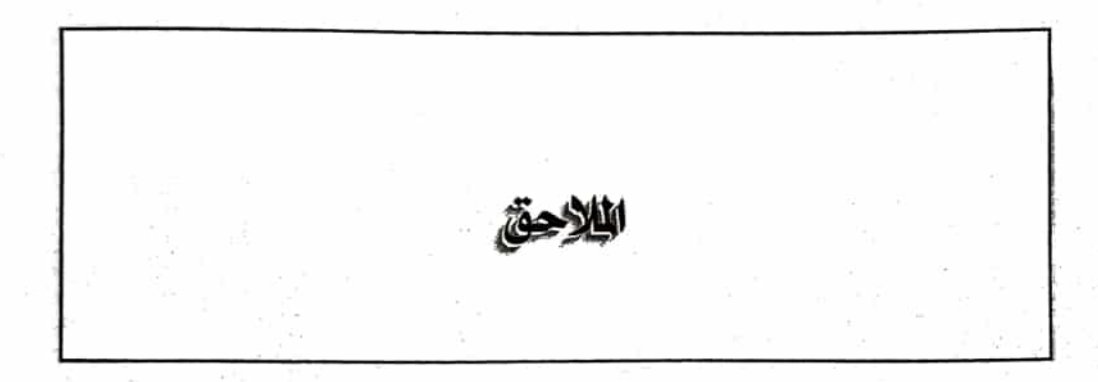
- الإسلام في عالم متغير للإمام أبي الحسن الندوي ص٧٤، ٧٥ دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

- (الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود) تعريب: عادل المعلم، يس إبراهيم، مكتبة الشروق ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

- الشيخ عبد الحميد كشك (الجانب الخُلقي في العبادات)، ط المختار الإسلامي، ١٩٧٧م.

- الإمام محمد الطاهر بن عاشور (النظام الاجتماعي في الإسلام)، ط دار السلام ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

●●●


الملاحق

ملحق رقم (١)

مقال لـ «د. خالد قنديل» بعنوان: ماكرون.. وقيم احترام الاختلاف ومراعاة الآخر(*)

أهم ما يتابعه العالم الآن ولا يزال، ردود الفعل الغاضبة حول قضية الإساءة للإسلام عبر رسومات مسيئة لنبي الإسلام محمد ﷺ، وصبّت كلمة الرئيس الفرنسي ماكرون مزيداً من الزيت على النار فأشعلت غضباً كبيراً في العالم الإسلامي، فانطلقت حملة موسعة للمطالبة بمقاطعة المنتجات الفرنسية، في عدد من الدول العربية والإسلامية. ولا يعفى ماكرون من مسئولية خطئه جهله بسيرة النبي محمد ﷺ، وأنه الداعي الأول للسلام والتسامح بين الشعوب عبر رسالة عظيمة في الأرض هي رسالة الإسلام، إنه النبي الذي اختصر مهمته ورسالته في قوله: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، والذي مدحه ربه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وأنا على ثقة من أن ماكرون لو نمى إلى علمه مناقب وأخلاق الرسول ﷺ كما يعرفها المسلمون لاعتذر عما فعله وعما قاله لخطئه في حق من لا يستحق من أحد أدنى إساءة. وكثير من المفكرين الأوروبيين عرفوا قدره، منهم الكاتب العالمي مايكل هارت الذي جعله على رأس قائمة شملت أسماء مائة شخص في كتابه (العظماء مائة وأعظمهم محمد) رتبهم حسب معايير تتعلق بمدى تأثيرهم في التاريخ الإنساني، وهذا بالرغم من احتفاظه بديانته المسيحية.

ومن ينظر إلى التأثير الفرنسي الإيجابي الكبير في التاريخ الفكري للعالم عبر العلم والأدب والفنون والثقافة والفلسفة وغيرها من المجالات الإنسانية، حتى شهد التاريخ أسماء عظام من فرنسا بقي أثرهم ممتداً حتى الآن مثل جان بول سارتر الذي قال على الإنسان أن يعتني بتقييم نفسه وليس تقييم الآخرين، ومثل جوستاف فلوبير وفيكتور هوجو الذي كتب عن البؤساء، والعديد من الأسماء في فرنسا التي كان لها أثر بارز في صناعة الأساس الفكري لعالم جديد في مجالات الحياة[1] وتأثر العالم

(*) جريدة الأهرام، الجمعة ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٠م.

(١) ولكن مع الأسف طغى تاريخها الاستعماري على تاريخها الثقافي. (راجع صفحات ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٤)، و(صفحات من تاريخ فرنسا الاستعماري الأسود) بالجزء الأول من هذا الكتاب.

أجمع بالثقافة الفرنسية فعرف حرية الفكر والمعتقد[1]، يندهش كيف يكون تصريح الرئيس الفرنسي ماكرون بهذا التناقض والعبث بالمشاعر الإنسانية والدينية التي ما كان ينبغي له أن يسقط بهذا الشكل أمام شخصية يقدسها ويجلها أكثر من ١,٨ مليار مسلم على مستوى العالم بما يجافي أهم مبادئ الحرية، وهي احترام الآخر وعدم التصادم بين أتباع الديانات المختلفة؛ احترامًا لمبدأ الاختلاف في الدين وهو أولى بالاعتبار من مراعاة واحترام الخلاف السياسي الذي ترعاه قيم الديمقراطية التي يدعو إليها العالم الحر وعلى رأسه فرنسا.

ولأن الدين أغلى ما يتعلق به الإنسان، فالنبي ﷺ يمثل خطًا أحمر عند جموع المسلمين الذين قابلوا الإساءة بغضب شديد، كل بحسب مستوى وعيه، لكن الغضب قد تحقق على الأرض بسبب تصريح غير مسئول، وهو ما أشار إليه شيخ الأزهر بالحملة الممنهجة للزج بالإسلام في المعارك السياسية؛ ما يؤدي عادة إلى الفوضى، ولا أحد يقبل بأن تكون الرموز والمقدسات ضحية مضاربة رخيصة في سوق السياسات والصراعات الانتخابية. وليس جديداً على الإنسان مثل هذه البديهيات من ضرورة واجبة؛ لأن هذا فقط ما يضمن السلام للبشرية أجمع، بعيداً عن الخطاب المؤجج للكراهية والمثير للأحقاد والذي قد ينذر بالانتقام من بعض المترقبين لمثل هذه الفرصة التي أهداها إليهم ماكرون بقصد أو بدون قصد؛ لأن تعمد الإساءات والتحريض عليها لا ينم إلا عن نيات خبيثة ويدفع دائمًا إلى الصدام المتعمد بين الشعوب وإيجاد القطيعة، ونحن جميعًا في غنى عن هذا.

•••

(١) ولكن هذا الوصف غير مطابق لواقع الحياة في فرنسا، وقد أثبتنا بما فيه الكفاية ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين، ولعل أبرز الأدلة هي محاكمة جارودي لأنه تجرأ على نقد الرواية الصهيونية عن محرقة اليهود في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

ملحق رقم (٢)

تنامي الإرهاب المحلي في أمريكا

يرى الدكتور عبد العزيز كامل أن من قاموا بالهجوم على الكونجرس في ٦ يناير سنة ٢٠٢١م بتحريض من الرئيس الأمريكي السابق ترامب -يمثلون: (يمين مغال، يؤمن بالحرفية أكثر مما يؤمن بالحرية، حتى إن الحقوق السياسية داخل الولايات المتحدة نفسها، باتت تعيش خطراً وضرراً بدأ يصل إلى حد ارتفاع بعض الأصوات بحرمان النساء والسود والمهاجرين من حق الانتخاب، وقصر ذلك على البيض البروتستانت، وهو ما يؤكد أن مشروع الهيمنة الأمريكي ليس من أجل الحريات، بقدر ما هو بسبب المصالح العنصرية والطبقية في الداخل والخارج)[١].

وقد ورد الخبر بجريدة (الأهرام) على النحو التالي: (اختلط أعضاء من المليشيات والجماعات اليمنية المتطرفة، وبعضهم ارتدى سترات واقية من الرصاص مع الحشود، وردد المحتجون شعارات مؤيدة لترامب، واقتحموا الحواجز واشتبكوا مع الشرطة)[٢].

ويقول الأستاذ فاروق جويدة (إن حشد ٧٠ مليون مواطن أمريكي خلف ترامب ليس أمراً بسيطاً، خاصة أن هناك أفكاراً غريبة وشاذة بين هذه الحشود يمكن أن تشعل حرباً أهلية في الشارع الأمريكي) [الأهرام في ٢٢/ ١/ ٢٠٢١م، مقال بعنوان: ترامب مسرحية هزلية في تاريخ أمريكا].

(*) الأهرام في ١٥/ ١/ ٢٠٢١م

(١) د. عبد العزيز كامل (دعاة الليبرالية! عقول محتلة.. أم ولاءات مختلة)؟ مجلة البيان -العدد ٢١٩ ذو القعدة ١٤٢٦هـ- ديسمبر ٢٠٠٥م ص ٤٨.

(المنتدى الإسلامي- لندن)، وهذا اليمين المتطرف له تاريخ طويل في أمريكا، وهناك دراسات عديدة حول عقائده. على سبيل المثال؛ ينظر كتاب رضا هلال (تفكيك أمريكا) عن (الأصولية الإنجيلية) أو اليمين الإنجيلي ص ١٤٧ وما بعدها. ط دار مصر المحروسة، سنة ٢٠٠٣م.

(٢) الأهرام بتاريخ ٨/ ١/ ٢٠٢١م.

ملحق رقم (٣)

اتخاذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ذريعة لاستئناف الحروب الصليبية

يقول د. جلال أمين:

(ولما وقعت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تبنت الإيكونومست البريطانية القصة الرسمية الأمريكية بحذافيرها، وصبّت جام غضبها على الإرهاب والإرهابيين، ولما أعلنت الإدارة الأمريكية أن عدوها الآن هو الإسلام والمسلمين، وخاصة العرب منهم، رددت الإيكونومست نفس الاتهامات بلا تحفظ)[1] . . ولم تكن إنجلترا وحدها هي السائرة وراء الولايات المتحدة بل تبعتها باقي دول أوروبا!

. . . ثم ثبت براءة العرب والمسلمين من تلك الأحداث!!! ورغم هذا يقول الأستاذ فاروق جويدة: (ما زال هناك من يدعي أن الإرهاب صناعة عربية وإسلامية!). الأهرام في ١٥/ ١/ ٢٠٢١م.

●●●

---

(١) د. جلال أمين (مستقبليات. . مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١) ص ١١٦، ط كتاب الهلال، إبريل سنة ٢٠٠٤م.

وهو يرى أن تلك المجلة دائمًا من (حاشية السلطان)، وكانت دائمًا تتخذ موقفًا يمينيًا متطرفًا من قضايا العالم الاقتصادية والسياسية، ص ١١٥.

ملحق رقم (٤)

علّق الأستاذ فاروق جويدة على أحداث ٦ يناير سنة ٢٠٢١ الأخيرة بالولايات المتحدة بقوله: (سوف يتوقف التاريخ طويلاً أمام الأيام السوداء التي عاشها الشعب الأمريكي وهو يرى رئيسه يقود حشوداً من الغوغاء ويقتحم مبنى الكونجرس.. ويعتدي وينهب وثائق وأسرار أكبر دولة في العالم!

إن جرائم الغوغاء في تاريخ العالم حدثت في بلاد كثيرة ولكن لم تكن بتحريض حاكم أو بتشجيع منه... إن انقسام الشارع الأمريكي بهذه الصورة الغوغائية قد تترتب عليه نتائج خطيرة.. إن حشد ٧٠ مليون مواطن أمريكي خلف ترامب ليس أمراً بسيطًا.. خاصة أن هناك أفكاراً غريبة وشاذة بين هذه الحشود يمكن أن تشعل الحرب الأهلية في الشارع الأمريكي.

.. إن المشكلة الأكبر الآن أن ٧٠ مليون مواطن أمريكي فيهم أنواع وأجناس وأفكار متناقضة، سوف يمثلون ألغامًا موقوتة يحركها ترامب من أي مكان وفي أي اتجاه.. ورغم هذا ما زال هناك من يدّعي أن الإرهاب صناعة عربية إسلامية!!)[١].

وتحت عنوان: (وتحذيرات من عنف يوم التنصيب.. وتنامي الإرهاب المحلي) قال محرر (الأهرام): (وذكرت تقارير من وكالة الخدمة السرية احتمال وقوع أعمال شغب وعنف من قبل أنصار ترامب والجماعات اليمينية المتطرفة... وهناك تقارير مخابراتية تشير إلى أن أحداث ٦ يناير ستشجع على الأرجح الجماعات المحلية المتطرفة إلى ارتكاب المزيد من أعمال العنف في عام ٢٠٢١)[٢].

●●●

(١) فاروق جويدة، مقال: (ترامب.. مسرحية هزلية في تاريخ أمريكا) ص ١٣ الأهرام في ٢٢ يناير ٢٠٢١م.
(٢) الأهرام بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٢١ ص٧.

ملحق رقم (٥)

التيار اليميني المتطرف الغربي يتغلب في أمريكا وأوروبا[١]

ترمب الظاهرة:

لا يعد الرئيس الأمريكي ترمب مجرد رقم في سلسلة تتابع الرؤساء الأمريكيين، بل هو أقرب إلى ظاهرة غير عادية، فقد توالى على الرئاسة العديد من الرؤساء بعضهم تركوا بصمات أو كانوا علامات فارقة في تاريخ الولايات المتحدة، لكن في المجمل كان مدى التأثير سواء في الإستراتيجيات السياسية الخارجية أو الداخلية متسقًا مع ما يعرف بالقيم الأمريكية أو على الأقل هذا ما كان يمارس في العلن وفي التصريحات الرسمية أمام الكاميرات الأمريكية. ويرغم أن ترمب قضى في الرئاسة عامين فقط فإنه فرض نفسه على مجال مصطلحات اللغة الإنجليزية التي حاولت وصف الظاهرة، فقاموس أكسفورد يدرس إدراج عدد من المصطلحات التي تم اشتقاقها من اسم ترمب، مثل Trumponomics بمعنى سياسة ترمب الاقتصادية، وTrumpism أي الترمبية نسبة إلى ترمب[٢].

ترمب كسر كل التابوهات، فقد احتقر السود والمعاقين وسخر منهم، وأطلق تصريحات شائنة بحق النساء، وهدد المهاجرين، وسن قوانين تمنع مهاجري خمس دول إسلامية من دخول أمريكا، الظاهرة الترمبية أصبحت تعني ازدياد قوة تيار الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم، والاتجاه إلى الشعبوية القائمة على التشدد أو التعصب القومي والعرقي والديني وحتى المادي، بمعنى الغنى والفقر، وهي في ذلك تتلاقى مع تيار اليمين المتطرف الغربي في أوربا، وتيارات القومية المتشددة في روسيا وإيران.

---

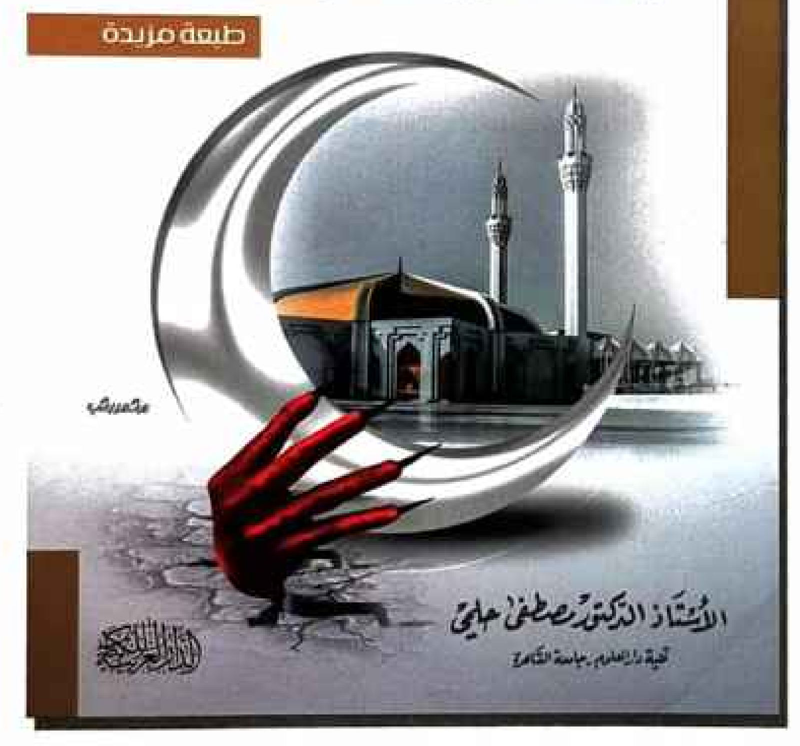
(١) المصدر: أحمد عمرو: مقال بعنوان (ماذا بعد الانتخابات المضفية الأمريكية) ص٧٩ مجلة البيان ربيع الآخر ١٤٤٠هـ- ديسمبر سنة ٢٠١٨م.

(٢) مقال في الغارديان البريطانية بعنوان: قاموس أكسفورد يدرس إضافة موجة المصطلحات الترمبية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	١١
الفصل الأول: الإسلاموفوبيا (أصولها وأهدافها)	١٧
الفصل الثاني: جماعات الإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية	٢٣
الفصل الثالث: ما مدى صحة الرواية الرسمية؟ وما الهدف من غزو أفغانستان؟	٢٩
الفصل الرابع: نشأة الإرهاب	٤١
الفصل الخامس: الحملات المنهجة ضد الإسلام	٥١
الفصل السادس: انتكاسات حضارة العرب واضمحلالها	٦١
الفصل السابع: إخفاق النموذج المزدوج للحضارة الغربية	٧١
الفصل الثامن: تهافت وَهْم معاناة الإسلام للأزمة	٧٩
الفصل التاسع: نقد (الإسلاموفوبيا) وفق المنهج العلمي	٨٩
الفصل العاشر: الصلة العضوية بين الاستعمار الغربي والدولة الصهيونية	١٠٣
الفصل الحادي عشر: الاستعمار -أصل الإرهاب- صناعة أوربية	١١١
الفصل الثاني عشر: استمرار الحروب الصليبية ومعها الإرهاب	١٢١
الخاتمة	١٣٩
المصادر	١٤٥
الملاحق	١٥٥
الفهرس	١٦٣

الإسلاموفوبيا
أم إرهاب الغرب
و العنصرية الفرنسية ؟!





E-mail : eldarelarabia900@gmail. com